

مجموع آثار سماحة الشيخ

عبد الله بن محمد بن حميد

رحمه الله

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

شرح متن كشف الشبهات

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

المجلد السادس



مَجمُوعُ آثارِ سماحةِ الشَّيخ

عبدالله بن محمد بن حميد

رحمه الله

شرح متن كشف الشبهات

للشيخ محمد بن عبدالوهاب

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي
مجموع آثار سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله
رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي
ط 1 - مكة المكرمة ، 1446 هـ
23 مج ، 121 ص؛ 17×24 سم

رقم الإيداع: 1446/9287
ردمك: 978-603-8506-00-4 (مجموعة)
ردمك: 978-603-8506-06-6 (ج6)







مجموع آثار سماحة الشيخ

عبد الله بن محمد بن حميد

رحمه الله

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

شرح متن كشف الشبهات

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

المجلد السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذا كتاب/ كشف الشبهات أحد كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، شرحه سماحة الشيخ العلامة: عبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله لطلبة العلم؛ فُرّغ من مجموعة «أشرطة صوتية»، وكان منهجنا في إخراجها ما يلي:

١ -مراجعة المتن وتصويبه على الأصل مع ضبط ومراجعة شرح الشيخ ابن حميد رحمه الله.

٢ -ترتيب فقرات شرح متن الكتاب لسماحته بعلامة القوسين (م).

٣ -عزو الآيات القرآنية بذكر السورة ورقم الآية بين المعكوفتين مثل: [الفاتحة: ١].

٤ -ترتيب فقرات عزو الشرح بعلامة القوسين (ت).

هذا وبالله التوفيق.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[تعريف التوحيد]

اعلم -رحمك الله-(م١): أن التوحيد هو إفراد الله بالتعلق(م٢).

(م١) قوله: (اعلم -رحمك الله-) هذا دعاء من المصنف للطالب المسترشد يدعو لك بالرحم، وقوله: (اعلم -رحمك الله-) لماذا يقول المصنف دائما في كتبه: اعلم -رحمك الله-، ولم يقل: اعلم -غفر الله لك-، فإن ثلاثة الأصول للمؤلف قال فيها: (اعلم -رحمك الله-: أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل)، وهنا يقول: (اعلم -رحمك الله-: أن التوحيد)، وفي كثير من رسائله يقول: اعلم -رحمك الله-، ولم يقل: اعلم -غفر الله لك-، فهل هناك فارق بين قوله: اعلم -غفر الله لك-، وبين قوله: اعلم -رحمك الله-؟

نقول لك: نعم، هناك فارق؛ لأن قولك: اعلم -رحمك الله- أعم، فقولك: اعلم -رحمك الله- يشمل: ما مضى وما يقع عليك في المستقبل من الذنوب، يدعو لك بالرحمة العامة في الماضي والمستقبل، أما غفر الله لك، فهي خاصة بالماضي، غفر الله لك ذنوبك، والذي لم يجئ من الذنوب ولم يصدر منك شيء، فهذا لم يشمله الدعاء؛ ولهذا عدل عن قوله: اعلم -غفر الله- لك إلى أن قال: اعلم -رحمك الله-، حتى يشمل المستقبل بالدعاء لك بالرحمة، وإذا حصلت الرحمة، حصلت المغفرة، وذهبت الذنوب برحمة منه ﷻ، بخلاف غفر الله لك، فهذا دعاء بأن الله يغفر لك ما مضى من ذنوبك مع السكوت عن الدعاء عما يقع منك في المستقبل.

(م٢) قوله: (أن التوحيد هو: إفراد الله بالتعلق) يعني بالعبادة، هذا هو التوحيد الذي أرسلت من أجله الرسل، وأنزلت لأجله الكتب، ولأجله جردت سيوف الجهاد، ولأجله حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، ولأجله نصبت الموازين، ولأجله قام سوق الجنة والنار، ولأجله صار الناس فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، كله لأجل توحيد العباد =

[التوحيد هو دين الرسل]

وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده(م١).

= وهو مدلول كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، ولأجلها خلق الله الخليقة، ولأجلها أقام الصراط بين الجنة والنار، إلى غير ذلك، كله من أجل (لا إله إلا الله) التي حقيقتها إفراد الله بالعبادة، والبراءة من الشرك.

(م١) وهو دين الرسل من نوح عليه السلام(ت١) إلى محمد ﷺ، كلهم دينهم التوحيد ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وفي حق نبينا ﷺ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، هذه دعوة الرسل، والمصنف عنون هذا الكتاب بيانا لدعوة الرسل، وهذا الكتاب مع قصره من أنفع الكتب؛ لأنه يذكر فيه شبه المبطلين من عباد الأصنام والمتوسلين بغير الله، يذكر شبههم ويجيب عليها شبهة شبهة؛ ولهذا سمي هذا الكتاب بكشف الشبهات، وقد قال فيه بعضهم يمدح الكتاب هذا يقول:

كشف بالكشف عنا كل معضل ❁ ضل الذكي بها في الكون حيرانا
نصرت فيه طريقا للنبي غدت ❁ لا تستطيع لها الأفهام عرفانا
ذرت عليها الذواري فهي خافية ❁ حتى جهدت لها بحثا وتبيانا

(ت١) لعل تقييد شرحه رحمه الله بنوح عليه السلام من حيث الرسالة، فآدم عليه السلام كان نبيًا والأنبياء عليهم السلام من أولاده قبل نوح عليه السلام أيضا، ولكن أول رسول بعثه الله إلى خلقه هو نوح عليه السلام.

[زمن حدوث الشرك وسببه]

فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ودًّا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا، وآخر الرسل محمد ﷺ(م١)، وهو الذي كسر(م٢) صور هؤلاء الصالحين(م٣).

= إلى آخر الأبيات(تـ١).. اعلم -رحمك الله-: أن التوحيد هو إفراد الله بالتعلق، وهو دين الرسل فأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ كما تقدم في الآيات المشار إليها من أن كل نبي يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

(م١) يعني أن الرسول ﷺ هو آخر الرسل كما تقدم، أولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين الخمسة ودا وسواعا ... إلى آخره.

(م٢) أي الرسول ﷺ.

(م٣) قوله: (صور هؤلاء الصالحين) يعني ودًا وسواعًا ويغوثَ ويعوقَ ونسرًا ... وهؤلاء الصور الخمسة كانوا في قوم نوح وكانوا رجالا صالحين، ولما ماتوا أسف عليهم قومهم فصوروهم، فطال الأمد ثم عبدوهم من دون الله، ثم جاء الطوفان فحمل تلك الصور وألقاها إلى ساحل جدة، فجاء راء(تـ٢) إلى عمرو بن لحي الخزاعي، فقال له: اذهب إلى جدة=

(تـ١) ملاحظة: [هذه الأبيات وجدتها على طرة كتاب كشف الشبهات، وهو مخطوط برقم ١٠٤٧٨/ ف في جامعة الإمام. وقد نسبت إلى سليمان بن عبد الله رحمه الله].

(تـ٢) وهو رَئِيٌّ مِنَ الْجِنِّ، وَكَانَ يُكَنَّى أَبَا ثُمَامَةَ، تابعه عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ وَهُو رَبِيعَةُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ ابْن مَازِنِ بْنِ الأَزْدِ، وَهُوَ أَبُو خُزَاعَةَ، وَأُمُّهُ فُهَيْرَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا كَانَتْ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ مُضَاضٍ الْجُرْهُمِيِّ، وَكَانَ كَاهِنًا، وَكَانَ قد غلب على مَكَّة وأخرج مِنْهَا جرهمـًا، وَتَوَلَّى سدانتها. **ينظر**: كتاب الأصنام (١/ ٥٤) لأبي المنذر الكلبي.

[بيان بعض ما كان عليه أهل الجاهلية]

أرسله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل: الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين(م١).

= تجد بها أصناما معدة، فخذها ولا تهب، وادعو العرب إليها تجب، فذهب إلى ساحل جدة ووجدها قد وارتها الرمال فأخذها إلى مكة ثم وزعها وفرقها في قبائل العرب فصاروا يعبدونها من دون الله، فقال النبي ﷺ في عمرو بن لحي هذا: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار»(تـ١) أي: أمعاءه؛ لأنه أول من غير دين إبراهيم وأول من سيب السوائب، والله أعلم.

(م١) إن الله أرسل محمدا ﷺ إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا وهم كفار قريش، فإن قريشا الذين بعث فيهم الرسول ﷺ وغيرهم يتصدقون، ويكرمون الحجاج ويذبحون لهم ويضيفونهم، ويفكون الأسير ويعطون الأنى(تـ٢)، إلى غير ذلك ويذكرون الله كثيرا ويطوفون بالبيت الحرام، لكن العلة الكبيرة التي تبطل هذا كله: هو أنهم يجعلون وسائط بينهم وبين الله، يرجون شفاعتهم ويرجون التقرب بهم إلى الله، فما تنفعهم تلك العبادات لا صلاة ولا حج ولا صدقة ولا ذكر لله؛ هذا لأنهم جعلوا وسائط بينهم وبين خالقهم، قال الله ﷻ فيهم وفي أمثالهم: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، فأعمالهم كلها غير مقبولة؛ لأنه لا إسلام لهم وقال: =

(تـ١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٤٦٢٤) ومسلم في صحيحه (ح: ٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(تـ٢) الأَنْيُ والإِنْيُ: الوَهْنُ. ينظر: لسان العرب (١٤/ ٤٩).

= ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [التوبة: ١٧]، فمجرد عمارتهم لمساجد الله، ومجرد طوافهم بالبيت الحرام، ومجرد صدقاتهم ومجرد إكرامهم للحجاج، ومجرد تقربهم إلى الله بأنواع العبادات، مع أنهم يتخذون الوسائط بينهم وبين الله يرجون شفاعتهم ويرجون أنهم يقربونهم إلى الله، وأنهم يرفعون حوائجهم إليه، وهؤلاء الوسطاء الذين كانت قريش تتخذهم آلهة فيما بينهم وبين الله، مثل: الملائكة وعيسى بن مريم وأناس غيرهم من الصالحين، وكذلك بعضهم يجعل الواسطة بينهم وبين الله الشمس، وبعضهم يجعل القمر، وبعضهم يجعل اللات، وبعضهم يجعل العزى، وبعضهم يجعل الملائكة؛ ومع هذا بطلت أعمالهم ولم ينفعهم شيء؛ لأنهم كفروا بالله وأشركوا به، قال تعالى في حق من اتخذ الملائكة: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وفي حق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦- ١١٧]، وفي حق الشمس والقمر: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧]، وفي حق الشجر قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النجم: ١٩- ٢٢]. وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ونحن حدثاء عهد بكفر قال: فمررنا بسدرة، وفي رواية «خضراء»، وكان للمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم -أي أنهم يرجون خيرها وبركتها-، قال: فمررنا بسدرة خضراء، فقلنا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر إنها السنن -أي الطرق- قلتم: والذي نفسي بيده كما قالت=

[الحكمة من بعث النبي ﷺ وبيان أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بالربوبية]

فبعث الله محمدا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلا عن غيرهم(م١).

= بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آله»(ت١)، هم لم يقولوا: اجعل لنا إلها، إنما قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، لكن شبه الطلبة بالطلبة، وأن مرادهم بقولهم: اجعل لنا ذات أنواط، يرجون خيرها وبركتها، وشبه مقالتهم بمقال بني إسرائيل لموسى حيث قالوا: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨- ١٤٠].

(م١) المعنى هو أن الله بعث محمدا ﷺ ليخبر الناس بأن ما هم عليه من الشرك بالله -تعالى- ودعاءهم غير الله، أنه دين باطل، وأنه خلاف دين إبراهيم، فإن نبينا ﷺ أمر بالتمسك بما كان عليه إبراهيم قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وملة إبراهيم: هي أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويتبرأ من عبادة ما سواه. بعث الله محمدا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، وهو إفراد الله بالتعلق، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد هو محض حق الله لا يصلح من هذا شيء لغير الله، لا لملك مقرب؛ كجبريل وميكائل وإسرافيل، ولا لنبي مرسل؛ كإبراهيم=

(ت١) أخرجه الترمذي في جامعه (ح: ٢١٨٠)، وأحمد في مسنده (ح: ٢٢٣١٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (ح: ٢٠٧٦٣) من حديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[الأدلة على إقرار الكفار بالربوبية]

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا،

= وموسى وعيسى ومحمد ﷺ فضلا عن غيرهم، بل هذا هو حق الله على عباده، وإلا فهؤلاء المشركون الذين بعث فيهم الرسول ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية يعترفون أن الله هو الخالق الرازق وأن الله هو المحي المميت، وأنه هو المدبر لأمر هذا العالم، المتصرف فيه بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام، فالمشركون يعترفون بأن الله يخلق، وهو الذي يرزق، وهو الذي يحيي، وهو الذي يميت، وهو الذي يدبر الأمور، ويعترفون أن الله هو الذي أوجد هذا العالم، وأوجد الأرضيين وما فيها من بحار وجبال وأشجار وأنهار، وأوجد هذه السموات بما فيها من كواكب وأقمار إلى غير ذلك، وأوجد الملائكة يعترف المشركون بهذا، ولكن مع هذا لم يدخلهم في الإسلام، فالاعتراف بتوحيد الربوبية لا يدخلهم في الإسلام حتى يعترفوا بتوحيد الألوهية ويعملوا به، والفرق بين توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون وبين توحيد الألوهية الذي أنكره المشركون هو: أن توحيد الربوبية أن نوحده بأفعاله، هذا أقر به المشركون، أن نوحد الله بأفعاله.

توحيد العبادة الذي أنكره المشركون وهو: الذي وقعت الخصومة فيه بين الرسل وأممهم، هو أن نوحده بأفعالنا، هذا هو توحيد الألوهية، وهو الذي وقعت الخصومة فيه بين الأنبياء وبين الأمم، معنى أن نوحده بأفعالنا: أي أن أعمالنا لا نصرف شيئا منها إلا لله؛ كالنذر والذبح والدعاء والاستغاثة والإنابة والتوكل وطلب العون إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي تصدر منا، فلا يصلح صرف شيء منها لا لملك مقرب كجبريل ولا لنبي مرسل كمحمد ﷺ، فضلا عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره، والله أعلم.

فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(م١) [يونس: ٣١]، وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ

(م١) أي: ألا تفردونه بالعبادة، وتتركون عبادة ما سواه، فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقا بقدرته، ومشيئته، فيخرج منها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا، وفاكهة وأبا، أإله مع الله؟ فسيقولون: الله، وقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾، أي الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وقوله: ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بقدرته العظيمة، ومنته العميمة. وقوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾؛ أي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان فقيرون إليه عبيد له، خاضعون لديه ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، أي: وهم يعلمون ذلك ويعترفون به، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم، فكثير ما يحتج ﷺ على المشركين بما اعترفوا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه من توحيد الألوهية، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩]، وتوحيد الربوبية قد فطرت=



تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ
وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩] وغير ذلك من الآيات.



= على قبوله والاعتراف به قلوب بني آدم، فلم ينكره إلا شذاذ قليلون من بني آدم، ففرعون القائل: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، والقائل: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]، معترف في نفس الأمر بوجود الخالق الموجد لهذا العالم، كما حكى الله عنه في قوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وفيما حكى الله عن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢](ت١).

(ت١) هذا الشرح مقتبس من رسالة في التوحيد للمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، ص٧، كما تمت مراجعته على شرحه المسجل.

[إقرارهم بالربوبية لم يدخلهم في الإسلام]

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ(م١).

(م١) يعني بتوحيد الربوبية السابق بيانه ولم يدخلهم في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم مع اعترافهم وإقرارهم بتوحيد الربوبية، ومع هذا لم يكونوا بهذا مسلمين؛ لأنهم لم يخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، بل جعلوا مع الله شريكا له، كانوا يعبدون الملائكة وعيسى وعزيرًا والأشجار وغيرها، يرجون خيرها، ويرجون بركتها، ويظنون أنها ترفع حوائجهم إلى الله، وهذا الدعاء لا ينفعهم حتى ولو كانوا يدعون الله ليلا ونهارا ما دام أنهم غير معترفين بتوحيد العبادة، فلابد من توحيد العبادة الذي حقيقته أن لا يعبد إلا الله، ولا يستعان إلا بالله، والذي حقيقته بعبارة أخرى هو: أن نوحده بأفعالنا، هذا هو توحيد العبادة؛ ولهذا كثيرا ما يحتج الرب ﷻ على عباده، يحتج عليهم بما اعترفوا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية في آيات كثيرة، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٥] وكذلك ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]، معترفون بأن الله هو الذي خلق الأرض ومن فيها، وخلق السموات ومن فيها، وأن الذي خلقها هو العزيز العليم، ومع هذا لم يصرفوا العبادة للعزيز العليم، بل جعلوا للعزيز العليم شريكا يرفع حوائجهم إلى العزيز العليم، يرجون خيره ويرجون بركته، ويقولون إنه واسطة بيننا وبين الله، فاعترافهم بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض لا يدخلهم في الإسلام حتى ولو كانوا يدعون الله ليلا ونهارا، ما دام أنهم لم يصرفوا العبادة لله، وأنهم جعلوا بينه وبين الله وسائط، سواء كان ذلك الواسطة نبيا أو ملكا أو وليا أو جنيا أو شجرا أو صالحا أو حجرا أو غير ذلك مهما كانت الحالة، فهم بهذا مشركون تستحل دماؤهم وأموالهم كما فعل رسول الله ﷺ مع مشركي العرب، والله أعلم.

[بيان التوحيد الذي جحده المشركون الأولون وتنوع معبوداتهم]

وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد»، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهارا، ثم منهم من يدعو الملائكة؛ لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلا صالحا، مثل: اللات، أو نبيا، مثل: عيسى(م١).

(م١) فإذا تحققت أن رسول الله ﷺ لما أمرهم بتوحيد العبادة، وأن مجرد اعترافهم بتوحيد الربوبية، لم يدخلهم في الإسلام، بل تركهم لتوحيد العبادة هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، ومشركو العرب منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله، ومنهم من يدعو رجلا صالحا مثل: اللات(ت١)، ومنهم من يدعو نبيا مثل: عيسى -صلوات الله وسلامه عليه-، ومنهم من يدعو حجرا، ومن من يدعو شجرا، والرسول بعث لإبطال هذا كله ومحاربة هذا كله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]، و﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النهي فهي تعم، وكقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [الرعد: ١٤]، فالله ﷻ أخبر بأن هؤلاء المدعوين لا يغنون من دعاهم شيئا ولا ينفعونهم بشيء، بل هم أعداء لهم يوم القيامة كما دل على هذا القرآن، والرسول ﷺ بعث بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأن لا يكون هناك معبود غير الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، أي من المشركين ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧]، فهذا الملك الذي أنت تدعوه، أو هذا الرجل الصالح الذي أنت تسأله، أو هذا النبي الذي أنت ترجوه، أو هذا القبر أو هذا الشجر، هل يستطيع أن يرفع ما بك من ضرر؟ وهل يستطيع أن يدفع ما بك من مرض؟ =

(ت١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٤٨٥٩) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «اللاتَ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الْحَاجِّ».

[سبب قتال الرسول للمشركين]

وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله(م١)، والنذر كله

- أبدا لا قدرة لأحد على ذلك إلا الله، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، والآية الأخرى ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وهذا كله يدل على بطلان التعلق بغير الله، وأن الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم بعثوا بهذا الغرض؛ وهو أن يأمروا أممهم بعبادة الله، وأن لا يسألوا ولا يرجوا إلا ربهم ﷻ، وأن صرف شيء من العبادة لغيره هو كفر مضاهٍ لكفر العرب الذين قاتلهم النبي ﷺ واستحلّ دماءهم وأموالهم لأجل هذا، ولا فرق بينها لو دعا ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو دعا شجرا أو حجرا أو رجلا صالحا أو دعا جنيا كل ذلك سواء، ما دام أنه صرف شيئا من العبادة لغيره، فهو مشرك كافر حلال الدم والمال حتى يرجع عما هو عليه، ويخلص العبادة لله وحده لا شريك له، والله أعلم.

(م١) فمن دعا أحدا غير الله من الرسل أو الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين أو غيرهم من سائر المخلوقات، فلقد أشرك بالله، ودخل في وعيد الله بقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فقد سمّى الله الدعاء عبادة، بل هو «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» كما في =

لله(م١)، والذبح كله لله(م٢)، والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادة كلها لله(م٣).

= الحديث الصحيح(تـ١). ونهى سبحانه أن يُدْعَى معه أحد كائنا من كان، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨](تـ٢).

(م١) كذلك النذر لا يجوز أن ينذر لغير الله، ومن نذر لغير الله حرم الله فعليه الوفاء به، وإنما الذي يجب الوفاء به هو إذا كان لله كما قال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧](تـ٣).

(م٢) كذلك من ذبح لغير الله فقد أشرك في عباد الله غيره قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقد فسر العلماء النسك بالذبح(تـ٤).

(م٣) هذا هو الذي من أجله قاتل النبي ﷺ مشركي العرب بحيث لا يذبحون إلا لله، ولا يدعون إلا الله، لا يستغيثون إلا بالله، لا يطلبون المدد إلا من الله، وأن يقطعوا العلائق من جميع الخلائق نهائيا ويتصلوا بالله ﷻ، هذا هو الذي قاتلهم النبي ﷺ لأجله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، والآية الأخرى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، =

(تـ١) أخرجه الترمذي في جامعه (ح: ٣١٩٦)، مع التحفة، من حديث ابن لهيعة عن عبيد الله ابن أبي جعفر عن أبان بن صالح عن أنس به، قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، والحديث له شاهد من حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»، أخرجه الترمذي (ح:٨٩٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الذهبي في تلخيصه على المستدرك (١/ ٤٩١)، والنووي في الأذكار ص٣٤٥، وقال ابن حجر في الفتح (١/ ٤٩)، إسناده جيد.

(تـ٢) فتاوى ابن حميد، ص٣٧٩.

(تـ٣) فتاوى ابن حميد، ص٣٧٩.

(تـ٤) فتاوى ابن حميد، ص٣٧٩.

[التأكيد على القاعدتين الأساسيتين]

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون(م١).

= الدين هو ما شرعه الله لعباده، هذا هو الدين، فإذا قلنا لك ما هو الدين؟ هو ما شرعه الله لعباده على ألسنة رسله، الدين لا يصلح إلا لله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ودعاء غير الله مناف للدين، وطلب المدد من غير الله والذبح لغير الله كله يتنافى مع الدين الذي هو التوحيد، فالنبي ﷺ قاتلهم لأجل هذا مع اعترافهم بأن الله هو الذي يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصل ويقطع، لكن مع هذا لم يدخلهم في الإسلام في حين أنهم يصرفون مثل هذه العبادات لأفضل المخلوقات؛ إما لنبي وإما لولي وإما لملك مقرب، ومع هذا كفّرهم النبي ﷺ واستحلّ دماءهم وأموالهم، والله أعلم.

(م١) إذا تحققت أن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية من أن الله هو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ويتصرف في خلقه بما تقتضيه حكمته وإرادته، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام، بل عدم إقرارهم بتوحيد العبادة هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم، وقاتلهم النبي ﷺ لأجل ذلك، عرفت حينئذ حقيقة التوحيد الذي بعثت لأجله الرسل، وأرسلت لأجله الرسل، والمشركون كما تقدم في الآيات، كلهم يعترفون بتوحيد الربوبية، لكن منهم من يدعو الملائكة ليلا ونهارا، ومنهم من يدعو الأشجار، ومنهم من يدعو الأحجار، ومع هذا قاتلهم الرسول ﷺ واستحلّ دماءهم وأموالهم من أجل أن يكون الدين كله لله، وقد أمر النبي ﷺ بقتالهم كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي حتى لا يكون شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وآية الأنفال ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، =

[مفهوم الإله عند المشركين]

وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله(م١)، فإن الإله عندهم هو الذي

= فالله أمر الرسول ﷺ بقتالهم حتى ينتهي الشرك ويكون الدين كله لله وحده لا شريك له، فعبادتهم ليلا ونهارا، وصيامهم وصدقاتهم وحجهم لم ينفعهم، بل كما قال الله فيهم وفي أمثالهم: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وذلك لإنكارهم توحيد العبادة الذي حقيقته أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، وحقيقته أيضا أن نوحده بأفعالنا، والمشركون وحدوا الله بأفعاله، غير أنهم لم يوحدوه بأفعالهم، فتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، ولم تُعصَم به دماؤهم وأموالهم، بل الرسول ﷺ استحل دماءهم وأموالهم وقاتلهم من أجل العمل بمعنى لا إله إلا الله بأن يكون الدين كله لله، لا يسأل إلا الله، ولا يستعان إلا بالله، ولا يطلب المدد إلا منه، ولا يستغاث إلا به، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، هذا هو حقيقة التوحيد الذي هو دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو مدلول كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، والله أعلم.

(م١) لأن لا إله إلا الله تبطل وتنفي جميع ما يعبد من دون الله، وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له. والتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، وهو معنى كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، فإن (لا) نافية للجنس، فقد نفت جنس الإله أن يكون أحد منهم يستحق التأله بحق أو يصرف شيء من العبادات له، ثم أثبت بقوله: (إلا الله) العبادة لله وحده لا شريك له في ألوهيته، كما أنه ليس له شريك في ربوبيته. وهذا هو معنى قول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٧]، فاستثنى من المعبودين ربه وتبرأ مما سواه، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وهذا المعنى في القرآن والسنة كثير جدا، وهو حقيقة ما دعت الرسل إليه أممهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(تـ١) [النحل: ٣٦].

(تـ١) ينظر: فتاوى ابن حميد رحمه الله (ص٣٧٨).

يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا(م١)، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرزاق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله

(م١) الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا، وقد يسمونه بالسيد، يعنون بالسيد: الإله هذا عند المشركين، فإذا كانوا يصرفون شيئا من الألوهية ويسمونه السيد، وهذا كله من الأمور الباطلة، فالله ﷻ لم يرض أن يجعل بينه وبين خلقه واسطة، وتلك الواسطة هي فقيرة محتاجة إلى من يدعو لها، ومن يشفع لها، فضلا عن أن تدعى وتطلب ويصرف لها شيء من حق الله ﷻ، وسيأتي ما قاله أبو جهل الذي أنزل الله فيه حين قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]؛ لأن المشركين يرون أن الآلهة متعددة، فهذا إله، وهذا القبر إله، والشمس إله، والشجر إله، وهذا الجني عندهم إله، وهذا الحجر إله، فعندهم آلهات متعددة، لمَّا قال لهم الرسول ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَقَامُوا فَقَالُوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ قَالَ: وَنَزَلَتْ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾(ت١). قال فرعون هذه الأمة ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]؛ لأنه فهم من معنى (لا إله إلا الله) أن الإله واحد، ما هناك تعدد الآلهة، والذي استقر في ذهنه وجرت عليه عقيدته تعدد الإله، فهذا إله وهذا إله؛ ولهذا يذبحون لهذا وينذرون للآخر، ويطلبون المدد من الثالث، وهكذا فاستغربوا أن الإله واحد، فهم يعرفون معنى لا إله إلا الله؛ ولهذا قال المصنف فيما يأتي: (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)، يعني أنهم فهموا منها بطلان تعدد تلك الآلهة، وإنما الألوهية تثبت له وحده لا شريك له، بخلاف أهل زماننا، فهم يقولون لا إله إلا الله، ولم يعرفوا معناها، ولا ما دلت عليه، يذبحون لهذا ويطلبون المدد من هذا، ويستغيثون بهذا ويقولون لا إله إلا الله، =

(ت١) أخرجه أحمد في مسنده [ح: ٢٠٣٥]، وابن حبان في صحيحه [ح: ٦٦٨٦] من حديث عبد الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وحده كما قدمت لك(م١)، وإنما يعنون بالإله ما يعني به المشركون في زماننا بلفظ [السيد]، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله)، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها(م٢)، والكفار الجهال يعلمون أن

= وما علموا بأنها تبطل وتنفي عملهم هذا، بل تكفرهم هذه الكلمة؛ لأنهم لم يفهموا منها أن الإله واحد، ولم يفهموا منها بطلان ما يتعلقون به، بخلاف أبي جهل، فإنه فهم منها بطلان تعدد الآلهة، وأن الإله المستحق للعبادة هو احد؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، قال المصنف فيما يأتي: (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)، والله أعلم.

(م١) معنى الإله هو المألوه الذي استحق العبادة، وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقاد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وغيرهم، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث به رسول الله ﷺ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، ومع ذلك كانوا يعبدون ويدعون غيره ويطلبون المدد من دون الله، وإذا قيل لهم: لم تعبدون وتدعون غير الله، وأنتم تقرون بأن الله هو الخالق لكل شيء، يجيبون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾(تـ١) [الزمر:٣].

(م٢) المراد من هذه الكلمة العظيمة وهي لا إله إلا الله معروفة معناها وما دلت عليه نفيا وإثباتا، بخلاف ما كان عليه المشركون، فهم يظنون أن الإله هو الذي يخلق ويرزق فقط، يعني يدبر شؤون هذا العالم وهذا المعنى صحيح، لكن هذا توحيد الربوبية، وهذا لم يدخلهم في الإسلام، بل هم كفار وهم معتقدون هذا الاعتقاد والرسول ﷺ قاتلهم، واستحلّ دماءهم وأموالهم من أجل أن يخلصوا العبادة لله، هذا هو الغرض، ثم مجرد =

(تـ١) ينظر: كتاب التوحيد للمؤلف رحمه الله ص٩٢.

= لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إذا تخلف العمل بمقتضاها، لابد أن تعرف معناها وتعمل بمقتضاها، فاليهود وهم من أكفر الخلق يقولون لا إله إلا الله، وكذلك المنافقون يقولون لا إله إلا الله، وأخبر عنهم بأنهم في الدرك الأسفل من النار، ولم تنفعهم لا إله إلا الله؛ لأنهم لم يعملوا بمقتضاها، بل ولم يعرفوا معناها، حتى المعرفة بمعناها لا تكفي إذا تخلف العمل بما دلت عليه، فإن النبي ﷺ يقول: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله ﷻ»(ت١). فإن الرسول ﷺ لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، فإذا قال إنسان لا إله إلا الله، فما نحقن دمه بها؛ لأننا نقول: كل الناس يقولون لا إله إلا الله، لكن يناقضونها، فمثلا: نقول عبادة القبور شرك تحل دم الرجل وماله، فرأينا إنسانًا يتردد إلى هذا القبر ويقول: المدد المدد، أغثني أغثني! قلنا: يا شيخ: كفرت.

قال: يا أخ أنا أقول: لا إله إلا الله، قلنا: ما تنفعك لا إله إلا الله، لابد من قتلك إذا لم تتب، قال لك: الرسول ﷺ يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»(ت٢).

وأنا أقول لا إله إلا الله، لِمَا تستحل دمي؟ تقول: نعم، قلت: لا إله إلا الله لكنك أفسدتها ولم تعمل بها؛ لأنها تقتضي البراءة من عبادة غير الله، وإثبات العبادة له وحده لا شريك له، وأنت صرفت العبادة لهذا القبر، فخالفت معنى لا إله إلا الله، فإن التلفظ بها لم يكن عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه، ثم قال يالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع، أي أن مجرد لا إله إلا الله مع تخلف العمل بمعناها لا تنفعك أبدا.

(ت١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح:٢٣) من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه.

(ت٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح:٢٩٤٦)، ومسلم في صحيحه (ح:٢١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: (إفراد الله تعالى بالتعلق)، (والكفر) بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾(م١) [ص:٥].

(م١) الكفار الجهال يعرفون من هذه الكلمة، وهي كلمة لا إله إلا الله يعرفون منها ما قصده النبي ﷺ من تلك الكلمة من إفراد الله بالعبادة، والبراءة من عبادة ما سواه، فهم فهموا هذا وعلموا المعنى الذي يريده الرسول ﷺ من هذه الكلمة، وهي حين قال لهم: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، قال عمه أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟(ت١)، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢]، أما أبو جهل فقال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾؛ لأنه فهم من هذه الكلمة وهي لا إله إلا الله أن الإله واحد، وأن الإله لا يتعدد، قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]؛ وذلك لأن المشركين عندهم عدة آلهات، فثقيف ومن التحق بهم من قبائل العرب إلههم اللات، وقريش وبنو كنانة ومن التحق بهم من قبائل العرب آلهتهم العزى، وبنو هلال ومن التحق بهم من قبائل العرب إلههم مناة، وأهل نجد ومن التحق بهم من قبائل العرب إلههم شيء يسمى ذا الكعبات، وهو بيت صنم يطوفون به ويأتون إليه وينذرون له، كل عنده آله، وكل عنده معبود، وكل عنده ما يتقرب به إلى الله، زعما منهم أنهم إله وسطاء بينهم وبين الله، هذه الكلمة تبطل هذا كله، وهي لا إله إلا الله، أبو جهل عرف منها أنه ما هناك إله لا ذو الكعبات ولا مناة ولا العزى ولا اللات ولا غيرها، ما هناك إلا واحد=

(ت١) المؤلف رحمه الله دمج بين طرفي الحديثين المختلفين في معرض شرحه؛ أما الشق الأول وهو قوله: «يا أيها الناس قولوا...» الحديث، أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (ح: ١٨٠)، وأحمد في مسنده (ح: ١٦٢٠٠)، والشق الآخر أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٤٥٧٢) ومسلم في صحيحه (ح:٤٧١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

[مفاهيم خاطئة في فهم كلمة التوحيد]

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى: (لا إله إلا الله)(م١).

= هو إله فقط؛ ولهذا قال: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]؛ يعني: أن هذا لشيء عجب جاء به هذا الرجل، فالمصنف يقول: من العجب أن أبا جهل عرف من هذه الكلمة ما لم يعرفه بعض علماء المسلمين اليوم، وأبو جهل فهم منها ما لم يفهمه كثير من علماء المسلمين اليوم، حيث ظنوا أن لا إله إلا الله إنما تدل على أن الخلق والرزق والتدبير بيد الله فقط، وظنوا أن هذا المعنى هو مدلول كلمة الإخلاص، فأبو جهل عرف منها ما لا يعرفه هؤلاء، والله أعلم.

(م١) فإذا عرفت ما تقدم من بيان معرفة لا إله إلا الله، وما دلت عليه نفيا وإثباتا، وعرفت أنهم غلطوا -أي المشركون- في زماننا، [حيث إنهم] لم يفهموا منها ما فهمه جهال مشركي العرب، فإن الحاذق منهم يظن أن معنى لا إله إلا الله: يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمور ولا يحيي ولا يميت إلا الله، يظن أن هذا هو معنى هذه الكلمة، يعني أنها تقرر توحيد الربوبية فحسب، فيكون معنى لا إله إلا الله أي: لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مدبر ولا متصرف في هذا الكون إلا الله، هذا هو الحاذق منهم، وأبو جهل وأبي بن خلف صاروا أعلم من هذا المتعلم في زماننا بمعنى هذه الكلمة، فهم فهموا أن لا إله إلا الله تدل على نفي العبادة لغير الله وإثباتها له وحده لا شريك له، وأن معنى (لا إله)، أي لا معبود بحق لا في ذبح ولا نذر ولا دعاء ولا توكل ولا إنابة، ولا استعانة، لا تكون لأحد =

[معرفة المؤمن لحقيقة الإيمان والشرك، وحال المشركين توجب له الفرح بالتوحيد والحذر من سلبه]

إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

= إلا لله وحده، أي: أن العبادة تكون له وحده، هذا الذي فهمه أبو جهل وأضرابه، من هذه الكلمة فصار أبو جهل وأضرابه أعلم بكثير من أهل زماننا بتلك الكلمة؛ ولهذا قال المصنف: (فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)، لظن هذا الرجل الذي هو في زماننا أن الكلمة تقرر توحيد الربوبية لله وحده، وهذا لا تدل عليه الكلمة فقط، نعم تدل عليه لكنها تدل على ما هو أشمل من هذا؛ لأن توحيد الربوبية [أقر] به مشركو العرب، بل جميع أصناف بني آدم، لا ينكره أحد منهم إلا من شذ، فعقلاء النصارى وعقلاء اليهود وأجناس بني آدم معترفون بتوحيد الربوبية، حتى إبليس فإنه معترف بتوحيد الربوبية كما في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر: ٣٦- ٣٨]، فهذا اعتراف من إبليس أن له ربا، وما معنى الرب في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ تقول معناه: المالك المعبود المتصرف، هذا معنى الرب، وهو الذي يعرفه إبليس، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ ﴾ معنى انظرني: اعتراف من إبليس أن الله هو القادر على إنظاره، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ اعتراف من إبليس أن الخليقة لابد وأن تبعث من قبورها، ويجازى المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم:٣١]، قال الله: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾، فكيف يقال: إن كلمة لا إله إلا الله تدل على هذا فحسب، وأن هذا هو معناها، فأصبح أبو جهل ومشركو العرب يعرفون منها وما دلت عليه ما لا يعرفه كثير من منتسبي العلم في زماننا بظنهم أنها تدل على توحيد الربوبية فقط، والله أعلم.

وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، وعرفت ما أصبح عليه غالب الناس فيه من الجهل، بهذا أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨](م١).

وأفادك أيضًا: الخوف العظيم(م٢)، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر

(م١) يقول المصنف إذا عرفت ما قلت لك مما تقدم من معنى لا إله إلا الله، وأنها تبطل وتنفي جميع ما يعبد من دون الله، وأنها تثبت العبادة لله وحده لا شريك له، وأن أبا جهل وأضرابه يعرفون من هذه الكلمة معناها، بخلاف ما عليه مشركو الناس اليوم، وهم يظنون أن لا إله إلا الله، أنها تدل على الخلق والرزق والتدبر والإحياء والإماتة، فصار أبو جهل بهذا أعلم منهم بمعنى لا إله إلا الله، إذا عرفت ذلك وعرفت الشرك بالله، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، وعرفت ما عليه غالب الناس اليوم وما أصبحوا فيه من الشرك، أفادك ما تقدم بفائدتين:
الأولى: الفرح بفضل الله، وفضل الله أن عرّفك بالإسلام وجعلك من أهله، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨]، فمعنى هذه الآية: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ ﴾ فضل الله الإسلام، ورحمته أن جعلك من أهل الإسلام، وينبغي أن تفرح بهذا، وأن يسرك هذا السرور العظيم، هذه هي الفائدة الأولى: أن عرفك بالإسلام، وعرفك ما ينافي الإسلام، وأن جعلك من أهله رحمة منه وإحسانا منه إليك، هذه هي الفائدة الأولى.

(م٢) الفائدة الثانية: وهي أنك تخاف الخوف الشديد بأن تنسلخ من هذا الإسلام، وأن تعرض لك شبهة تخرجك من هذا الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨]، فأعظم نعمة أنعم الله بها على عباده هي=

بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصا إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم، أنهم أتوه قائلين: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.



= نعمة الإسلام، أن عرفهم بالإسلام، وجعلهم من أهل الإسلام، ولكنه يخاف أن ينزع منه هذا الإسلام، أو هو ينزع من الإسلام فيبقى مع القسم الثاني الذين لا خير فيهم، والذين هم أعداء الرسل، وأعداء دين الإسلام، كما تقدمت الإشارة إليه.



[بيان حكمة الله تعالى من جعله أعداء للأنبياء]

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء(م١)، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾(م٢) [الأنعام: ١١٢].

(م١) والحكمة في جعله للأنبياء والمصلحين أعداء؛ ليحصل الابتلاء والتمحيص، فيتميز الخبيث من الطيب، والصالح من الطالح، والبصير من الأعمى، والصادق من الكاذب، وأيضا: فالحق لا يستنير نوره، ولا يشع شعاعه، ولا ترسخ قدمه إلا إذا قاومه أهل الباطل وعارضوه، فعند ذلك يظهر من علامات ثبوت الحق، وفساد الباطل وزيفه ودجله، ما يتنافس الكثيرون من المصلحين لإثباته وإقراره، وتقعيده بكلام كثير ونقاش طويل.

(م٢) معلوم من سنة الله في خلقه أن الحق يتصارع مع الباطل، وأنه لابد أن يقيض الله للحق أعوانا يدافعون عنه، ويكتب لهم الغلبة والفوز مهما كان للباطل من صولة، كما أن من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين: ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام:١١٢-١١٣]، وذلك أن الحق إذا جحد وعورض بالشبهات، أقام الله تعالى له يد من يشاء من عباده مما يحق به الحق ويبطل به الباطل، من الآيات والبينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة(تـ١).

(تـ١) **ينظر**: فتاوى ابن حميد ص٣١٠.

[أن لأعداء التوحيد حججا وبراهين]

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج(م١) كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾(م٢) [غافر: ٨٣].

(م١) أشار المصنف رحمه الله بهذا إلى أنه ينبغي للموحد أن يعلم أن لهؤلاء علومًا وحججًا قد تروج على من غلبهم الجهل، وانطفأ عندهم نور البصائر، فلابد أن يستعد لهم بالحجة والبيان حتى لا يقع في شراكهم، وهذا المسلك الذي سلكه المصنف هو عين هدي النبي ﷺ، فعندما أرسل معاذا إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب»، الحديث.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله: (قال القرطبي: وإنما نبهه على هذا؛ ليتهيأ لمناظرتهم ويعد الأدلة لامتحانهم؛ لأنهم أهل علم سابق، بخلاف المشركين وعبدة الأوثان. وقال الحافظ: هو كالتوطئة للوصية ليجمع همته عليها، ثم ذكر معنى كلام القرطبي، قلت - سليمان بن عبد الله-: وفيه أن مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل، والتنبيه على أنه ينبغي للإنسان أن يكون على بصيرة في دينه؛ لئلا يبتلى بمن يورد عليه شبهة من علماء المشركين، ففيه التنبيه على الاحتراز من الشبه والحرص على طلب العلم)(تـ١).

(م٢) الأعداء يكون لهم حجج وأهل فصاحة وعلوم وبلاغة ويكون عندهم من الحجج، لكن حججهم تذهب سبهللا(تـ٢)، فالعامي من الموحدين يغلب الآلاف من علماء المشركين الذين قال إمامهم ومقدمهم إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، والله أعلم(تـ٣).

(تـ١) ينظر: تيسير العزيز الحميد ص٩٦.

(تـ٢) أي هدرا.

(تـ٣) هذا الكلام تم تنسيقه من كلام الشيخ في شرحه للمقطع السابق، حيث إن شرح الشيخ على هذا المقطع لم يوجد؛ ولذا حذفت منه الكلمات التي تشير إلى أنه سيأتي في درس قادم فقط، والله أعلم.

[وجوب التسلح بالكتاب والسنة لدحض شبهات الأعداء]

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحا تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦-١٧]، ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦]، والعامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين(م١)، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.



(م١) لأن حججهم أوهى من بيت العنكبوت، فهم ليسوا على بينة وليس عندهم حجج على باطلهم، فالعامي من الموحدين ممن قرأ القرآن يستطيع أن يردّ شبه العلماء من علماء المشركين المفتتنين بالقبور وعبادتها والذبح لها؛ لأنه لا دليل لهم ولا مستند عندهم، ولكن إذا أصغيت إلى حجج الله وبيناته، فلا تخف ولا تحزن إن كيد الشيطان كان ضعيفا.

[بيان أن في القرآن الحجج لرد شبهات المشركين]

وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد منّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(م١) [النحل: ٨٩].

فلا يأتي صاحب باطل بحجة(م٢) إلا وفي القرآن ما ينقضها، ويبين

(م١) قد منّ الله علينا بهذا القرآن العظيم الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل إلا وفي القرآن ما ينقض بطلانه ويدحض حجته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، فالقرآن عام شامل فيه كل خير، وفيه من الحجج ما يدمغ ويبطل حجج المخالفين من المشركين وغيرهم. والقرآن الكريم ينزل على الرسول ﷺ مبينا حال الرسل المتقدمين مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين؛ ليكون له بهم أسوة، فتتسلى نفسه، ويطيب قلبه، وتهون عليه جميع المصاعب، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠](ت١).

(م٢) الدين الباطل إذا جادل عنه المجادل ورام أن يقيم عُودَه المائل أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، ويبين أن صاحبه الأحمق كاذب مائق، وظهر فيه من القبح والفساد والتناقض ما يظهر به لعموم الرجال، أن أهله من أهل الضلال حتى يظهر به من الفساد ما لم يكن يعرفه العباد، ويتنبه بذلك من كان غافلا من سنة الرقاد، ممن لا يميز الغي من الرشاد(ت٢).

(ت١) **ينظر**: فتاوى ابن حميد ص٣٠٩.

(ت٢) **ينظر**: فتاوى ابن حميد ص٣١٠.

بطلانها، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣]، قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة(م١).

(م١) قال بعض المفسرين على هذه الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾، هذه الآية عامة في كل صاحب باطل يأتي بحجة بطلان يستدل بها على باطله، هي عامة إلى يوم القيامة، يعني فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها، ومن جملة ما في القرآن في هذه الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾، أي: ما يأتونك بأي باطل يستدلون به على باطلهم إلا جئناك بما هو أحسن منه مبينين فيه الحق، ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾، أي: إيضاحا وبيانا، بل هذه الآية عامة في كل صاحب باطل يأتي بحجته إلى يوم القيامة، إذ إنها دامغة لحجته، مبينة لبطلانها، فعباد القبور المفتتنون بها ليس عندهم حجج إلا أشياء ترهات.

يقولون: إنها وسائط بيننا وبين الله، والقرآن أبطل هذا.

يقولون: لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه، القرآن أبطل هذا.

يقولون: إنهم شفعاء لنا عند الله ولهم جاه ونطلب منهم، القرآن أبطل هذا كله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤] إلى غير ذلك مما دل عليه القرآن العزيز، والله أعلم.

[بيان موضوع الكتاب والغاية من تأليفه]

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا(م١).



(م١) أنا أذكر لك -بعد ما تقدم- أشياء منها ما كان يحتج بها أهل الباطل في زماننا علينا، وذلك أنهم يحتجون بآيات، يقولون: إن الآيات التي تحتجون بها إنها نزلت في المشركين ونحن لسنا بمشركين، بل نزلت فيمن يعبد الأصنام كما يأتي، أو يأتون بشيء لا دلالة فيه، فيقول المصنف: نجيب عن شبههم بجوابين مجمل ومفصل.

أما المجمل فهو الأمر المهم والفائدة الكبيرة، وذلك أن الله ﷻ يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، فإذا استدل عليك بما لا تعرف، فقل: إن هذا من المتشابه، وقد صح عن رسول الله ﷺ من حديث عائشة: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم»، يعني أن في قلوبهم زيغا.

أما الجواب المفصل فهو يأتيك، والمصنف سيمثّل للمسائل التي يستدل بها أهل الباطل، ويرد عليهم بالجواب المجمل كما يأتي في قوله: (مثال ذلك)، كقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢]، ويستدل بهذا، ليس من لازم أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أنهم يسألون أو يصرف لهم شيء من العبادة مما هو حق لله تعالى، كما يأتي بيانه مفصلا إن شاء الله، والله أعلم.

[الرد على أهل الباطل إجمالا وتفصيلا]

فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل.

أما المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ [آل عمران: ٧]، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم»(م١). مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢]، وإن الشفاعة حق، وإن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاما للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره(م٢)، فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح:٤٥٤٧) ومسلم في صحيحه (ح:٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(م٢) مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢] فقل: هذا حق ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾، لكن هل فيه دلالة على أننا نعبدهم؟ أو أننا نذبح لهم؟ وننذر لهم؟ نحن نعرف أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هذا فيه مدح لهم، وتنويه بفضلهم، ولهذا جاء في الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤]. =

= فهل في الآية على أننا نتعلق بهم، ونذبح لهم، وندعوهم، ونسألهم تفريج الكربات؟ أبدا، هذا ليس من الآية.

أو قال لك: إن الأنبياء لهم شفاعة ولهم جاه، قل: كل هذا حق، لهم شفاعة ولهم جاه، لكن إن كنت تعرف الجواب العلمي فأجبه، ورد عليه باطله، وإن لم يكن عندك علم وجاءك بهذه الأشياء، واستدل على رأيه بشيء من كلام النبي ﷺ أو بشيء لا تفهم من القرآن، فقل له: أنا أقطع أن كلام الرسول لا يخالف القرآن أبدا، وأن القرآن لا يتناقض أبدا بالكلية، أنا أقطع يقينا أن القرآن لا يتناقض، وأن كلام النبي لا يخالف القرآن، بل يبينه ويفسره؛ ولكن كلامك هذا أنا لا أفهمه ولا أعرفه، وليس عندي فيه أي شيء، إلا أني أعرف أن القرآن لا يتناقض، وأعرف أن السنة الصحيحة لا تخالف القرآن، بل تؤيده وتوضحه وتعبر عنه وتفسره، وكلامك هذا قد يكون من المتشابه الذي قال الله فيه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، بهذا تتخلص وقد رددت عليه ردا محكما بينا، فهذا الجواب لا تتساهل به على ما يقول المصنف، وما ذكرته لي أيها المشرك من التعلق بالملائكة أو دعاء غير الله، فالقرآن يبطله ويرده، فإذا كنت لا تعرف أن القرآن يرده ويبطله، وليس عندك علم، وقد استدل عليك بما لا علم لك به، ولا جواب عندك له، فقل له: لا أفهم كلامك، ولا أعلم عما تقوله، غير أن عندي أمرين: فالله يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وإن كان حقا ليس من قسيم المتشابه، فهذا تبين له السنة؛ إن كان عندك شيء من معرفة السنة، وإذا لم يكن عندك شيء، فتجاوبه بالجواب السابق بأن القرآن يأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فتبين أن الحكمة من خلق الإنس والجن هي العبادة، وأما ما تقوله فلا أفهمه؟ هذا أمر محكم بيِّن، وهو جواب جيد على ما يقوله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: (فخذ به ولا تستهن بهذا الجواب)، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، والمصنف يريد بهذا أنه هو الجواب المجمل. =



المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، هذا أمر محكم بيّن لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ﷻ، وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تستهن به، فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].



= أما الجواب المفصل فهذا يأتيك فيما إذا استدللت عليه بشيء من الآيات القرآنية، وقال: إن هذه الآية نزلت فيمن يعبد الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام! أو قال: كيف تجعلون عيسى مثل الأصنام، أو تجعلون الملائكة مثل الأصنام! مثلا:

أنا أطلب من الملائكة، فكيف تنزلون الآيات التي نزلت فيمن يعبد الأصنام على أناس يعبدون الله إلا أنهم يرجون شفاعة الملائكة، ويتعلقون بهم؟ أو أن هذا خاص بعيسى؛ لأنه رسول الله؛ ولأنه أحد أولي العزم.

وجواب هذا كله يأتيك فيما بعد في الجواب المفصل، والله أعلم.

[الجواب المفصل في الرد على أهل الباطل]

وأما الجواب المفصل، فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه، منها:

[الشبهة الأولى]

[الأولياء والصالحون لهم جاه عند الله، ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم]

قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فضلا عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم(م١).

(م١) المعترض يقول لك: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأنا أصلي وأصوم، وأنا أعتقد أن عبد القادر(تـ١) أو ابن عباس، أو أحمد البدوي(تـ٢)، لا يضر=

(تـ١) هو: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان (وراء طبرستان) ٤٧١هـ، وانتقل إلى بغداد شابا، سنة ٤٨٨هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ وتوفي بها. ينظر: المنتظم (١٨/ ١٧٣) لابن الجوزي، والأعلام (٤/ ٤٧) للزركلي.

(تـ٢) هو أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، أبو العباس البدوي، المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية، أصله من المغرب، ولد بفاس عام ٥٩٦هـ، وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة. ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس، فخرج لاستقباله هو وعسكره، وأنزله في دار ضيافته، وزار سورية والعراق سنة ٦٣٤هـ، وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر، وتوفي عام ٦٧٥هـ ودفن في طنطا. ينظر: الأعلام (١/ ١٧٥) للزركلي.

= ولا ينفع، وليس له مكانة، وإنما النافع الضار هو الله، لكن هؤلاء الصالحون لهم جاه عند الله، ولهم منزلة، وأنا مذنب فأنا أدع ويعملون وهم من أجل أن يشفعوا لي عند الله، ومن أجل أن يرفعوا حاجتي إلى الله، فهم عند الله بمنزلة الوزراء عند الملوك، فلابد أن آتيهم وأدعوهم وأذبح لهم من أجل أن يشفعوا لي، ويرفعوا حاجتي إلى الله، يقول هذا، وإلا أنا أعتقد أن الله هو الذي يقضي الحاجات، وهو الذي يكشف الكربات، وهو الذي يغيث اللهفات، وبيده الضر والنفع، وبيده الخلق والرزق، وبيده التدبير، لكن هؤلاء ما هم إلا شفعاء، وأطلب جاههم فقط، فجاوبه بما تقدم، ما هو الذي تقدم؟ تقول: نعم، أنت تقول إني لا أطلب من عبد القادر شيئا إلّا لأنه رجل صالح، وإلا أنا أعرف أن الذي يقضي الحاجات هو الله، والذي يشفي المرضى هو الله، والذي يكشف الكرب هو الله، ولكني آتي قبر عبد القادر أو البدوي أو الرسول، فأقول: اشفع لي عند الله، ارفع حاجتي إلى الله، أنا في جوارك أنا في حسبك، قل له: هذا الذي أنت تقوله هو عين شرك المشركين الذين بعث فيهم الرسول، فهم يعرفون أنَّ أوثانهم؛ كاللات والعزى وذي الكعبات، لا تخلق ولا ترزق ولا تنفع ولا تدبر أمر من دعاها، وإنما جعلوها وسائط فقط بينهم وبين الله، ومع هذا كفّرهم الله في القرآن، وقاتلهم النبي ﷺ، واستحلّ دماءهم وأموالهم سواء بسواء؛ لأن المشركين لم يعتقدوا في أوثانهم أنها هي التي تجلب النفع، أو أنها هي التي تدفع الضرر أو أنها تكشف المرض، أو أنها تجلب لك الرزق أبدا، هم يعتقدون أن ذلك كله لله، ولكن يقولون العزى -مثلا- لها مكانة عند الله وهي شجرة سمر، وهي مطيعة لله ليست عاصية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فهذه شجرة سمر لها مكانة، فأتوسل بها أن ترفع حاجتي إلى الله، وهي واسطة بيني وبين الله، قل له: ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾؟ أي: أضرت أم نفعت، ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٢]، أي جائرة، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣]، هذا هو عين شرك المشركين، وستأتيك الآيات الدالة على هذا.

ويقول لك الخصم: هذه نزلت فيمن يعبد الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام، فتجاوبه أيضا بجواب آخر يأتي بيانه في كلام المصنف، والله أعلم.

فجاوبه بما تقدم:

وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، مُقرون بما ذكرت، ومُقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة.

واقرأ عليه ما ذكره الله في كتابه، ووضِّحه.



[الشبهة الثانية وجوابها]

[الكفار كانوا يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين وفرق بينهما]

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما(م١)؟

فجاوبه بما تقدم:

فإنه إذا أقرَّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن

(م١) فإذا قال المشبه المبطل: هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، ما هي الآيات؟ يعني مثلا: إنسان يذبح للبدوي، وينذر لعبد القادر الجيلاني أو يأتي إلى الرسول فيقول: يا رسول الله، اشفع لي، المدد المدد يا رسول الله.

قل له أنت: هذا شرك، لا يجوز، فإنك صرفت حق الله لغيره.

فإذا قال لك: ما الدليل على أنه شرك؟

تقول له: الأدلة كثيرة، لكن منها:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، واستدلل عليه بقوله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وبقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢- ٢٣].

قصدوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يفرّق بين فعله وفعلهم بما ذكر، فاذكر له أن الكفار: منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾(م١) [المائدة: ٧٥- ٧٦].

(م١) إذا قال لك المبطل: هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، فكيف تجعلوننا مثل الكفار الذين يعبدون الأصنام؟ ونحن لا نعبد الأصنام التي هي الأشجار والأحجار، إنما نسأل الأنبياء والصلحاء؛ لأن لهم جاها، ولهم شفاعة.

جاوبه بما تقدم:

تقول له: إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شركهم مثل قولك سواء بسواء، فهم يطلبون من الملائكة ومن الأنبياء ومن الشمس والقمر ومن الأشجار ومن الصالحين، ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؟ [آل عمران: ٨٠].

ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾؟ [الإسراء: ٥٧]؛ لأن المشركين كانوا يعبدون أناسا من الجن، ثم إن الجن أسلموا وهؤلاء بقوا متمسكين بهم، وقيل: إنهم يعبدون الصالحين، فأنزل الله أن الذين تعبدونهم هم أناس صلحاء يبتغون إلى الله الوسيلة بالأعمال الصالحة، يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف تصرفون لهم حق الله؟ =

= فتقول له: إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شركهم مثل قولك سواء بسواء، فهم يطلبون من الملائكة ومن الأنبياء ومن الشمس والقمر ومن الأشجار ومن الصالحين، ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، فهذه الآية في الأنبياء والملائكة.

فقل له: هذه نزلت في الصلحاء، وأنت تقول: أنا لا أسأل إلا الصلحاء، فإذا قال: أنا أسأل الرسول وأسأل الأنبياء، فكيف تجعلون من سأل النبي من جنس من سأل الأصنام؟ قل: ألم يكن عيسى نبيا، قال: بلى، بل ومن أولي العزم.

ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾؟ [المائدة: ٧٥-٧٦]، فهذه نزلت في النهي عن دعاء عيسى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾؟ [المائدة: ١١٦].

فإذا قال لك: يأخي كيف تجعلون من سأل الملائكة مثل من يعبد الأصنام؟

قل: نعم، ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠]، قالت الملائكة: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤١]، فالملائكة تبرؤوا من عابديهم وممن يسألهم من دون الله، فقل له أيضا: عرفت أن الله كفَّرَ من قصد الأصنام كما كفَّرَ من قصد الأنبياء والصالحين سواء بسواء، فحينئذ بطل قولك، وقامت الحجة عليه، وأن من دعا غير الله وطلب المدد من غير الله أنه مشرك كافر، سواء دعا نبيا مرسلا أو ملكا مقربا أو صنما أو قبرا أو جنيا أو شجرا أو غير ذلك، كما دل عليه القرآن العزيز، والله أعلم.

واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ : ٤٠- ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] ، فقل له: أعرفت أن الله كَفَّر من قصد الأصنام، وكَفَّر أيضا من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ؟



[الشبهة الثالثة]

[الكفار يريدون المنفعة ودفع المضرة ونحن نريد الشفاعة فقط]

فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب:

أن هذا قول الكفار سواء بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(م١) [يونس: ١٨].

(م١) فإن قال لك المشبه المبطل الذي يذبح للقبور ويستغيث بها ويطلب منها المدد، قال بعدما استدللت عليه بالآيات السابقة: الكفار لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وأعتقد أن الله هو النافع الضار، وإنما أقول: إن الصالحين ليس لهم من الأمر شيء غير أن لهم جاهًا عند الله فقط، فأنا أطلبهم من أجل جاههم، فكيف تجعلني من جنس الكفار؟
لو ناظرت لك إنسانا مثلا يطلب المدد من القبور، قلت له: أنت عملك هذا خطأ، هذا القرآن ينكره، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، واستدللت عليه بقصة عيسى وغيره المتقدمة في الآيات السابقة، قال لك: يا أخي تجعلني مثل الكفار، أنا رجل أشهد أن لا إله إلا الله،=

[منزلة الشبه الثلاث عند المشركين]

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه، وفهمتها فهما جيدا، فما بعدها أيسر منها(م١).



= وأشهد أن محمدا رسول الله، وأعتقد أن الله هو النافع الضار، وأعتقد أن الصالحين ليس في أيديهم شيء، غير أن لهم جاهًا، ولهم مكانة عند الله، فأنا أطلبهم وأستغيث بهم لأجل أن يرفعوا حاجتي إلى الله، فقل له أنت: قولك هذا هو قول الكفار بعينه سواء بسواء، لم تزد عنهم قيد شعرة، فالكفار يعتقدون أن الله هو النافع الضار، وأن الله هو الذي بيده الأمر كله والتصرف كله، وإنما يطلبون من آلهتهم الواسطة بما لها من الجاه.

فإذا قال لك: ما الدليل؟

قلنا: الدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾؛ أي قائلين ما نعبدهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، واقرأ عليه آية يونس: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، سماه الله شركا بعينه، إذن: ينقطع ما عنده أي جواب.

(م١) قال المصنف: واعلم أن هذه الشبه الثلاث السابق بيانها، هي أكبر ما عندهم، فما بعدها أيسر منها وأسهل كما سيأتي، والله أعلم.

[الشبهة الرابعة]

[الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة]

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين، ودعاؤهم ليس بعبادة(م١).

(م١) فإذا قال لك المشبه: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة.

مثلا يقول: أنا لا أعبد إلا الله، والالتجاء إلى الرسول وسؤاله أن يشفع لي، وطلبي منه أن يقضي حاجتي، ليست بعبادة، فعرفوا العبادة.

قلنا العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال الظاهرة والباطنة(تـ١). وقل له: الدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

لابد أن يقول: نعم؛ لأنه لا يمكن أن ينكر القرآن.

فقل له: ما دام أنك اعترفت أن الدعاء عبادة، وأن طلب الحوائج من الله عبادة، فما حكم من صرف شيئا من العبادة لغير الله؟

أو أنك دعوت الله ليلا ونهارا دائما وأبدا، ثم دعوت في قضاء تلك الحاجة نبيا أو ملكا أو جنيا أو وليا أو غير ذلك، هل تعتبر أنك أشركت بالله؟

لابد أن يقول: نعم؛ لأن الدعاء عبادة وهو دَعَا غير الله، والله يقول: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فسمى الدعاء عبادة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، يعني صاغرين قليلين حقيرين.

(تـ١) ينظر: العبودية ص٤٤ لابن تيمية.

[الجواب الأول]

فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة، وهو حقه عليك؟ فإذا قال: نعم، فقل له: بين لي هذا الذي فرض الله عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقه عليك، فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥]، فإذا أعلمته بهذا، فقل له: علمت بهذا، هل هو عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنه عبادة، ودعوت الله ليلا ونهارا؛ خوفا وطمعا، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره، فهل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: قال الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر: ٢]، وأطعت الله ونحرت له، هل هذه عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، فهل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلابد أن يقر، ويقول: نعم(م١).

(م١) وقل له أيضا: إذا علمت بقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر: ٢]، فهل هذا عبادة؟ الله أمرنا بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر: ١-٢]، أي: أن الصلاة عبادة، والنحر عبادة، يقول لك: نعم، قل إذن: ها أنت نحرت لغير الله، فهل صرفت له شيئا من العبادة؟ لابد أن يقر ويقول: نعم.
بهذا تندحض حجته ويتضح له الحق، ويعرف أنه على غير هدى وأنه على ضلال مبين، وهذا كله من باب التنزل معه، وإنزال للحجة بما أقرّ به سواء بسواء، وإلا فالأمر واضح=

[الجواب الثاني]

وقل له أيضا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلّا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهر الله، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم، والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدا(م١).

= والآيات القرآنية واضحة، ودعوة الرسول ﷺ لكفار قريش وغيرهم من قبائل العرب الذين بعث النبي ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن عبادة ما سواه كل ذلك واضح، ودعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم من نوح عليه السلام إلى آخرهم محمد ﷺ كما دل عليه القرآن أمر واضح لا يحتاج إلى دليل، لكن هذا كله من باب التنزل مع هذا المشبه المبطل، فإنك تلزمه بنظير ما أقر به، والله أعلم.

(م١) فقل له: إن المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ، هل منهم من يعبد الملائكة، ويعبد الصالحين، ويعبدون اللات والعزى؟ لابد أن هذا المشبه يقول لك: نعم؛ لأن المشركين يعبدون الملائكة، وقسم منهم يعبدون الأنبياء، وقسم منهم يعبدون الصالحين، وقسم منهم يعبدون الشمس والقمر.

والدليل على أنهم يعبدون الملائكة قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

والدليل على أنهم يعبدون الأنبياء أيضا في هذه الآية، كذلك قوله: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [المائدة: ٧٥].

والدليل على أنهم يعبدون الصالحين قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧]، =

= ويعبدون أيضا اللات، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩- ٢٠]، ويعبدون الأشجار كما في حديث أبي واقد قال: «أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ. قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ. قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، إِنَّهَا لَسُنَنٌ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً»(ت١).

فهذا لابد أن المشبه يقول لك: نعم، المشركون يعبدون الملائكة والصالحين والأنبياء واللات والعزى وغيرها، تقول له أنت: هذه العبادة ألم تكن دعاء وذبحًا والتجاء إليهم؟ يقول لك: نعم، قل له إذن: هذا هو عين فعل مشركي زماننا سواء بسواء، فإن مشركي زماننا يعبدون الصالحين، يبنون على قبورهم الأبنية، يذبحون لهم، يلتجئون إليهم، يلتمسون منهم الشفاعة، يطلبون منهم المدد، فهو عين شرك مشركي الأولين، وهذا ظاهر جدا فلا يستطيع أن يدلي حجة حينئذ، بل هو منقطع؛ لأنه قبلُ يقول: هذا ليس بعبادة، ونحن نعبد الملائكة، نتقرب إلى الملائكة، أو إلى أناس صالحين، فبعدما تستدل عليه بهذه الآيات، وتعرفه بأن المشركين أيضا يلتجئون إلى الأنبياء والملائكة ويذبحون لهم، وهذا بعينه شرك المشركين في زماننا، بل قد يكون شرك زماننا أغلظ من شرك الأولين؛ لأن الأولين يخلصون لله في الشدائد، وإنما كانوا يشركون في الرخاء، أما مشركو زماننا فشركهم دائم في الرخاء والشدة، كما قال تعالى -هذا في عين المشركين الأولين-: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، أما أهل زماننا فعندما يقع في أي مصيبة أو في أي كارثة، يندب معبوده: يا أحمد البدوي، يا عبد القادر، أغثني أغثني، واكشف الشدة عني، فصار شرك أهل زماننا أغلظ وأعظم من شرك الأولين كما تقدم وكما هو معلوم، والله أعلم.

(ت١) أخرجه أحمد في مسنده (ح: ٢٢٣١٥)، والترمذي في جامعه (ح:٢١٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

[الشبهة الخامسة]

[من ينكر طلب الشفاعة من الرسول ﷺ والصالحين فهو منكر لشفاعة الرسول وغيره]

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتتبرأ منها؟

فقل له: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفع، وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر: ٤٤].

[شروط الشفاعة المثبتة]

ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾(م١) [آل عمران: ٨٥].

(م١) الشفاعة ليست للرسول ﷺ، بل لله وحده، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر: ٤٤]، والرسول وغيره لا يشفع إلا بعد إذن الله له، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله قوله وعمله كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

[الطريقة الشرعية لطلب شفاعة النبي ﷺ]

فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد(م١)؛ تبين لك: أن الشفاعة كلها لله، وأطلبها منه فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعّه في، وأمثال هذا.

(م١) فلا يشفع أحد إلّا بإذن الله له، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يأذن إلا لمن رضي الله قوله وعمله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فنقول: اللهم لا تحرمنا شفاعة نبيك، اللهم شفعّه فينا، وأمثال هذا. والأحياء يشفعون للميت إذا قاموا يصلون عليه بدعائهم له، كما في صحيح مسلم حديث ابن عباس وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه»(ت١)، وكما في دعاء المصلين على الطفل المتوفى، فإنهم يقولون في دعائهم: «اللهم اجعله ذخرا لوالديه، وفرطا وأجرا، وشفيعا مجابا»(ت٢)، فيسألون الله أن يقبل شفاعة هذا الفرط لوالديه، لا أنهم يطلبون الشفاعة من الفرط نفسه؛ لأن الشفاعة ملك لله، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر:٤٤]، وأن الله لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(ت١) أخرجه أحمد في مسنده (ح: ٢٥٥٠)، وابن حبان في صحيحه (ح:٣٠٨٢).

(ت٢) لم يتم الوقوف عليه بهذا اللفظ، وإنما أخرج عبد الرزاق في مصنفه (ح: ٦٦٤١) موقوفا على الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم اجعله سلفا لوالديه، وفرطا وأجرا».

[الشبهة السادسة]

[النبي أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله]

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

[الجواب الأول]

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(م١) [الجن: ١٨].

(م١) فإذا قال لك المشبه المبطل: الرسول أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله، تقدم لك أن الشفاعة ليست للرسول، بل لله وحده قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وأن الرسول وغيره لا يشفع أحد لأحد إلا بعد إذن الله له، قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وتقدم لك أنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله قوله وعمله كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وتقدم لك أن الله لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فإذا انتقل من الشبهة الأولى التي أجيب عنها وقال لك: الشفاعة أعطيها الرسول وأنا أطلب مما أعطاه الله، فقل: نعم، الله أعطى الرسول، ولكنه نهاك أن تطلبها منه، بل اطلبها من الله، قل: اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك، اللهم شفعه في؛ لأن الله يقول: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فهي ملك لله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه، إلا لمن أذن الله له، فإذا أذن الله للشافع شفع، فأنت اسأل الله الشفاعة حتى يأذن لنبيه أن يشفع فيك؛ لأنه أعطاه الشفاعة ونهاك أن تدعوه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

[الجواب الثاني]

وأيضا: فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون. أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟!

فإن قلت هذا، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه. وإن قلت: لا، بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله (م١).

(م١) ونقول أيضا: صح أن الملائكة يشفعون(تـ١)، والأفراط يشفعون(تـ٢)، والأولياء يشفعون والصالحين يشفعون(تـ٣)؛ لكن لا نطلبها منهم إنما نطلبها من الله ﷻ، لا نطلبها من هؤلاء، فإن طلبتها من هؤلاء رجعت إلى عبادة الصالحين؛ لأنك دعوتهم عن شيء لا يقدرون عليه، وإنما تسأل الله أن يشفع فيك نبيه، ألا ترى أننا عندما نقوم نصلي على الأطفال إذا ماتوا نقول: «اللهم اجعله ذخرا لوالديه، وفرطا وأجرا وشفيعا مجابا» نسأل الله بأن يجعل هذا الفرط شفيعا مجابا لوالديه(تـ٤)، لا أنك تقول: يا فرط، اشفع لأهلك، لا، فالمسؤول هو الرب ﷻ، فإن قال: لا، أنا أسأل العموم. =

(تـ١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا قال: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط»، أخرجه مسلم في صحيحه (ح:١٨٣).

(تـ٢) الأفراط هم: الأطفال. أخرج البخاري في صحيحه (ح:١٢٤٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاثة لم يبلغن الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم».

(تـ٣) سبق ذكره في الحديث الأول.

(تـ٤) سبق تخريجه.

[الشبهة السابعة]

[الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك]

فإن قال(م١): أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى

= نقول: رجعت إلى عبادة الصالحين سواء بسواء، وإذا رجعت إلى عبادة الصالحين أصبحت مشركا بالله، إنما نحن نعترف بالشفاعة وأن الله أعطاه الشفاعة، لكنها ملك لله وأنت مسؤول بأن تطلبها من الله، ثم تصلح أعمالك التي هي سبب بأن يأذن للشفيع أن يشفع كما في قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والله أعلم.

(م١) ويقال أيضا: للمشبه المبطل عندما تناظره فيمن يعبد القبور ويذبح لها ويطلب المدد من أصحابها، تقول له أنت: هذا هو الشرك بعينه، يقول لك هذا المبطل: لا، هذا ليس بشرك؛ فإن الالتجاء إلى الصالحين واتخاذهم وسائط ليس بشرك. تقول له أنت: ما هو الشرك إذن؟ ما دمت تقول إن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، ما هو الشرك عندك؟ [...] فهو لا يستطيع.

قل له: الشرك بالله: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، فمن الخصائص ما هو مستحق لله وحده والذبح والنذر والدعاء والاستغاثة إلى غير ذلك.

فأنت الآن تستغيث بغير الله، وقعت في الشرك، تذبح لغير الله، وقعت في الشرك، تطلب المدد من غير الله، وقعت في الشرك، وقل له أيضا: ما تقول في الالتجاء إلى الصالحين؟ يقول: إنه ليس بشرك. قل له: القرآن أيضا أثبت أن الالتجاء إلى الصالحين من الملائكة والنبيين وغيرهم شرك، ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وأنكر ﷺ على أصحاب عيسى حين قالوا ما قالوا: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]، =

الصالحين ليس بشرك. فقل له: إذا كنت تقرّ أن الله حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقرّ أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟

أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟!



= وفي قوله: ﴿مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وإلى أن قال: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦]، فالقرآن أبطل الالتجاء بالصالحين وأمر أن لا يعبد إلا الله، فشرككم هو عين شرك الأولين سواء بسواء، وبهذا تبطل حجة هذا المشبه المبطل وأنه لا حجة له، بل حجته داحضة، وأن شركه هو عين شرك الأولين الذين بعث فيهم النبي ﷺ، والله أعلم.

[الشبهة الثامنة]

[خصوصية الشرك بعبادة الأصنام]

فإن قال(م١): الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.

[الجواب الأول]

فقل له: وما معنى عبادة الأصنام؟

أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن.

[الجواب الثاني]

وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجرا أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع عنا ببركته، أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها.

فهذا أقرَّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

[الجواب الثالث]

ويقال له أيضا قولك: الشرك عبادة الأصنام.

(م١) لم يعثر على شرح الشيخ لهذه الشبهة.

هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا؟ وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين.

فلابد أن يقرّ لك: أن من أشرك في عبادة الله أحدا من الصالحين، فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب(م١).

(م١) ويقال أيضا للمشبه المبطل عندما تناظره فيمن يعبد القبور ويذبح لها ويطلب المدد من أصحابها، تقول له أنت: هذا هو الشرك بعينه.

يقول لك هذا المبطل: لا، هذا ليس بشرك؛ فإن الالتجاء إلى الصالحين واتخاذهم وسائط ليس هذا بشرك، يقول لك هذا.

وتقول له أنت ما هو الشرك إذن؟ ما دمت تقول إن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، ما هو الشرك عندك؟ يقول لك: الشرك عبادة الأصنام فقط؟

قل له أنت: ما معنى عبادة الأصنام؟ فسِّر لي عبادة الأصنام التي في رأيك أن الشرك منحصر فيها؟

يقول لك: هو اعتقاد أن الأصنام تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، هذا هو الشرك.

تقول له أنت: أخطأت، هذا شرك، لكن كفار العرب لا يعتقدون هذا الاعتقاد، بل هم معترفون أن الذي يدبر الأمور ويتصرف في هذا العالم هو رب العالمين، لا أنهم يعتقدون بأن أصنامهم تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، إنما يقولون وسائط بيننا وبين الله، فالقرآن يكذبه، قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٥]، هذا قول المشركين: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]، ومع هذا قاتلهم الرسول وسماهم مشركين، فمجرد إقرارهم بتوحيد الربوبية لا يدخلهم الإسلام، إذن: تنقطع حجته. =

= فقل له: تعرف أن الالتجاء إلى الصالحين هو الذي كان عليه المشركون في زمن رسول الله، والرسول قاتلهم من أجل أن لا يعبدوا إلا الله وألا يلتجئوا إلا إلى الله، وأن يخلصوا العبادة لله كما دل عليه القرآن العزيز: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، أي من المشركين، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقل له أيضا: ما تقول في الالتجاء إلى الصالحين؟

تقول أنت: إنه ليس بشرك.

قل له: القرآن أيضا أثبت أنه شرك، الالتجاء إلى الصالحين من الملائكة والنبيين وغيرهم، ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]؟ وأنكر ﷻ على أصحاب عيسى حين قالوا ما قالوا: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦- ١١٧]، وفي قوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] إلى أن قال: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: ٧٦]، فالقرآن أبطل الالتجاء بالصالحين، وأمر أن لا يعبد إلا الله، فشرككم هو عين شرك الأولين سواء بسواء، فالأولون معترفون بتوحيد الربوبية، ومعترفون أن أصنامهم لا تخلق ولا ترزق ولا تنفع ولا تضر، وإنما اتخذوها وسائط بينهم وبين الله؛ كما اتخذوا الأنبياء وسائط، وكما اتخذوا الملائكة وسائط، وكما اتخذوا الأشجار=

[حاصل الأجوبة عن الشبهة الثامنة]

وسر المسألة: أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؟ فسره لي.

فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده. فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي.

فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي

= والأحجار وسائط بينهم وبين الله، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]؛ لأن العزى شجرة سمر كانت بوادٍ(تـ١) قرب مكة، كانوا يلتجئون إليها ويسألونها تفريج الكربات بزعمهم أنها ترفع حوائجهم إلى الله؛ لأن الأشجار مطيعة لله ليست عاصية، ومع هذا كفرهم الله ﷻ، وقاتلهم النبي ﷺ من أجل أن لا يعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، وبهذا تبطل حجة هذا المشبه المبطل وأنه لا حجة له، بل حجته داحضة، وأن شركه هو عين شرك الأولين الذين بعث فيهم النبي الله ﷺ، والله أعلم.

(تـ١) أخرج أحمد في مسنده (ح:٢٢٣١٥) وغيره، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ. قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ. قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ إِنَّهَا لَسُنَنٌ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً».

شيئا وهو لا يعرفه!

وإن فسر ذلك بغير معناه، بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلون في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾(م١) [ص: ٥].

(م١) وسر المسألة هو أن المشبه المبطل إذا قال لك: أنا لا أشرك بالله شيئا.

فقل له: طيب، ما معنى الشرك بالله؟ فسره لي.

فإن قال لك: الشرك عبادة الأصنام.

فقل له أنت: ما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي.

فإن قال -انتقل للجواب الثاني-: أنا لا أعبد إلا الله؟

فقل له أنت: ما معنى عبادة الله؟ فسرها لي.

أولا: تسأله عن الشرك؟ إيش هو الشرك؟

ثانيا: يفسر لك الشرك بعبادة الأصنام. قل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ بينها لي.

ينتقل يقول: أنا لا أعبد إلا الله، قل له: ما معنى عبادة الله؟ فسرها لي.

إن فسر بالآيات بما يدل عليه القرآن من الآيات الواضحات: فنعم، وإن فسرها بغير ذلك بينت له ما دل عليه القرآن، فإذا قال: لا أشرك بالله، وقلت له: ما الشرك بالله؟ فهو لا يستطيع الإجابة.

قل له: الشرك بالله: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، فمن الخصائص ما هو مستحق لله وحده والذبح والنذر والدعاء والاستغاثة إلى غير ذلك.

فأنت الآن تستغيث بغير الله، وقعت في الشرك، تذبح لغير الله وقعت في الشرك، تطلب المدد من غير الله وقعت في الشرك. =

= فإن قال: الشرك عبادة الأصنام؟ قل له: طيب، ما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي. فهو لا يستطيع. تقوله له أنت: عبادة الأصنام ليس المعنى أن المشركين يعتقدون بأصنامهم أنها تملك الضر والنفع، لا، هم يعتقدون أن أصنامهم تقربهم إلى الله، ويعتقدون أن النفع والضر والأمور والتدبير بيد الله، إنما أصنامهم جعلوها وسائط فقط، وهذا بعينه هو شرك أهل زماننا سواء بسواء، هذا هو شرك أهل زماننا.

فإن قال لك: أنا لا أعبد إلا الله!

نقول له: طيب، ما معنى عبادة الله؟ أنت تعرف عبادة الله إيش هي؟

إن فسرها بأن قال: أنا لا أعبد إلا الله، يعني أنا أفرده بالعبادة؟

قل له: هذا طيب، كلنا إن شاء الله نفرد الله بالعبادة.

فإن قال: أنا لا أعبد غيره؟ بمعنى أني لا أسجد إلا لله؛ لأن العبادة عنده السجود كما هو رأي داود بن جرجيس(ت١).

يقول: إن الشرك هو السجود لغير الله، وأما غيره فليس بشرك. =

(ت١) داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي الشافعي ابن جرجيس من أهل بغداد مولده ووفاته بها، وقام برحلات إلى الحجاز والشام، وأقام بمكة نحو (١٠) سنوات، وله مصنفات، ولد سنة ١٢٣١هـ وتوفي سنة ١٢٩٩هـ، ويعتبر بن جرجيس من أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكانت مهمته إثارة الشبه ضد هذه الدعوة، حتى ظهر له تلاميذ، ومن أشهر كتبه: "المنحة الوهبية في الرد على الوهابية"، وقد رد عليه عبد الرحمن بن حسن في كتابه "القول الفصل" وغيره. ينظر: الإعلام (٢/ ٣٣٢)، مقدمة القول الفصل ص٣. (راجع تعليقات الشيخ رحمه الله على كتاب تأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس).



= فتقول له أنت: المشركون الذين بعث فيهم الرسول لم يكونوا يسجدون لآلهتهم، نعم يسجدون، ولكنهم يذبحون وينذرون ويستغيثون ويطلبون منها المدد، ومع هذا قاتلهم النبي ﷺ. تبين له الآيات الواضحات، فإنك متى بينت له مثل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، قال ابن عباس: (كل ما في القرآن ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ أو ﴿ٱتَّقُوا۟﴾ فالمراد به وحدوا)[تـ١]، فمعنى وحدوا: تقتضي عدم المشاركة ألا يشرك مع الله غيره، فمعنى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] على تفسير حبر الأمة: يا أيها الناس، وحدوا ربكم يعني بالعبادة، ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١] أي: إياي وحدون: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، يعني: يا أيها الناس، وحدوا ربكم، فإن الآيات تدل على توحيد الله بالعبادة، وأن الإنسان متى صرف شيئا من العبادة لغير الله، فقد جعله شريكا لله، فمتى قلت لهم هذا، فإنهم يصيحون بك ويطلقون عليك أنك متعنّت، وأنك مشرك، وأنك مبتدع، كما صاح إخوانهم من قبل من مشركي العرب، حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فمشركو العرب عندهم: أن كل من ذبح له وطلب منه المدد فإنه إله، إلا أنهم يقولون: إن هذه الآلهة صغار بالنسبة إلى الله، وإنهم وسائط، وإلا فهم يعرفون أنهم آلهة كما في قوله تعالى لما قال لهم الرسول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله[تـ٢]»؛ لأن لفظة لا إله إلا الله تدل على إثبات العبادة له، وتنفي العبادة عمن سواه، فهموا هذا؛ لهذا ردوا عليه قائلين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾، يعني: لا يعبد إلا واحد: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، والله أعلم.

(تـ١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (١/ ٧١) للبغوي.

(تـ٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (ح: ١٥٩)، وابن حبان في صحيحه (ح: ٢٠٢٢) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي.

[الشبهة التاسعة]

[الكفر خاص بمن نسب الولد إلى الله]

[فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة، والأنبياء، وإنما يكفرون لما قالوا: الملائكة بنات الله، فإنا لم نقل: إن عبد القادر ولا غيره ابن الله؟

[الجواب الأول]

إن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١-٢] ، والأحد: الذي لا نظير له، والصمد: المقصود في الحوائج. فمن جحد هذا كفر، ولو لم يجحد السورة(م١).

(م١) إذا قال لك المشبه المبطل: إن الذين يدعون الملائكة ما كفروا إلا لقولهم إنهم بنات الله، هذا هو السبب لكفرهم، أما من استغاث بهم وطلب المدد منهم وجعلهم شفعاء بينهم وبين الله، فلا، تقول له أنت: هذا كفر وهذا كفر، كلا الأمرين كفر، من زعم أن لله ولدا، سواء كان بنات أو غيره، فهو كافر، الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾، فقوله ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أي: لا ولد له، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: ليس له أب ولا أم، هذا معنى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يعني: الأحد أي لا نظير له ولا مثيل له ولا سمي لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قيل الصمد: هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها ومهماتها عندما يقع الإنسان في كربة، أو يحتاج إلى التفات إلى خالقه وبارئه، فصمد إلى الله بمعنى: أنه ينزل حاجته في الله، فالذي هذه صفته لم يلد ولم يولد، نفى أن يكون له فرع كما نفى أن يكون له أصل، فإن الله لا أصل له ولا فرع له، فقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لا فرع له، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: لا أصل له، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: لا نظير له ولا سمي له ولا مثيل له.

[الجواب الثاني]

وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ففرق بين النوعين، وجعل كلا منهما كفرا مستقلا(م١).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ففرق بين كفرين.

[الجواب الثالث]

والدليل على هذا أيضا: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلا صالحا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك.

(م١) قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]،فالله نفى أن يكون له ولد، بل هو الغني عن كل ما سواه، وكذلك أيضا من زعم أنهم شفعاء، فالله يقول: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ويقول: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] سماه الله شركا، قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، يعني: كأن الله لم يعلم بأحوالكم ولا بمصائبكم ولا بحوائجكم ولا بطلباتكم، أتجعلون بينكم وبينه شفعاء وسائط كأنه لا يعلم بكم، ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

[الجواب الرابع]

وكذلك أيضًا: العلماء في جميع المذاهب الأربعة، يذكرون في باب حكم المرتد: أن المسلم إذا زعم أن لله ولدا فهو مرتد، ويفرقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح[م١].

(م١) والعلماء في كل مذهب من المذاهب من أتباع الأئمة الأربعة ألّفوا في كتبهم: باب حكم المرتد[تـ١]. وهو الذي يكفر بعد إسلامه، فمسوغات الكفر وأسباب الكفر كثيرة، فمن زعم أن لله ولدا فهو كافر، ومن عبد الملائكة فهو كافر، ومن جحد أسماء الله وصفاته التي أثبتها لنفسه في القرآن فهو كافر، ومن قال: إن الزنا حلال فهو كافر، ومن قال أيضا: إن الخبز أو التمر حرام؛ لأن حله مجمع عليه فهو أيضا كافر مرتد، فكل إنسان جحد تحريم أمر مجمع على تحريمه بأن قال: إنه حلال فهو مرتد، أو زعم أن هذا حرام وهو مجمع على إباحته فهو مرتد إلى غير ذلك، فأنواع الردة والكفر كثيرة فلا تقتصر على من زعم أن لله ولدا، بل من زعم أن لله ولدا، وأن الملائكة بنات الله أو أنهم شفعاء عند الله، أو أن الأنبياء شفعاء عند الله، أو اتخذهم وسائط بينه وبين الله، أو جحد أسماء الله وصفاته، فأنواع الكفر وأسباب الردة كثيرة جدا، عقد لها العلماء في كل مذهب بابا في كتبهم، قالوا: باب حكم المرتد، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعا كثيرة كلها موجبة للردة، والله أعلم.

(تـ١) ينظر: زاد المحتاج (٤/ ١٨٨)، مغني المحتاج (٤/ ١٣٣) تحفة الحبيب (٤/ ١٩٩)، المواهب مع التاج (٦/ ٢٧٦) الأم (٤/ ٢١٤)، المغني (٨/ ١٢٨)، الكافي (٤/ ١٥٥)، الإنصاف (١٢/ ٣٢٦) الفروع (٦/ ١٦٤) منح الجليل (٤/ ٤٦١) البحر الرائق (٥/ ١١٩) ابن عابدين (٤/ ١٧٤) الكشاف (٦/ ١٦٧) نيل الأوطار (٧/ ٢١٦) وغيرها كثير.

[الشبهة العاشرة]

[أولياء الله لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم]

وإن قال(م١): ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢](م٢). فقل: هذا هو الحق، ولكن لا يعبدون، ونحن لا ننكر(م٣) إلا عبادتهم مع الله، وشركهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم، والإقرار بكرامتهم(م٤).

(م١) هذه الشبهة لم يعثر على شرح الشيخ لها.

(م٢) فإن يستدل بهذا، فقل له: ليس من لازم أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أنهم يسألون أو يصرف لهم شيء من العبادة مما هو حق لله تعالى.

(م٣) كذا في النسخة الخطية التي كتبت سنة ١٢١٣هـ وهي نسخة كاملة، محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود تحت رقم (١٠٦٣م) وهي الصواب خلافا للمطبوع.

(م٤) الكرامة عرفها شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: ما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات. ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، قال شيخ الإسلام: (وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم، لكن كثيرا ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذابا أو ملبوسا عليه، وأيضا فإنها لا تدل على عصمة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله، بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وأنه يقتل واحدا ثم يحييه، وأنه يخرج خفية كنوز الذهب والفضة، ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لـو=

[كرامات الأولياء عند أهل السنة وغيرهم]

ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلالات.

ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين(م١).

= طار في الهواء ومشى على الماء لم يثبت له ولاية، بل ولا إسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ (تـ١).

(م١) فهذا سيد الخلق وأشرف المرسلين وأكرم البرية يقول لأعز الناس عنده بنته فاطمة، والتي هي بضعة منه، وعمه العباس بن عبد المطلب، وعمته صفية بنت عبد المطلب، ولعشيرته الأقربين: «يا معشر قريش – أو كلمة نحوها–، اشتروا أنفسكم –أي: بالإيمان بالله والعمل الصالح– لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا»(تـ٢)، فإذا كان سيد المرسلين صرح بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، ثم انظر فيما وقع في قلوب الناس اليوم، فيتبين له التوحيد وغربة الدين.

وفي الحديث رد على من تعلق بالأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه. كما يدل على أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا بما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى؛ فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه لعباده أن يتقربوا به إليه، فإذا كان لا ينفع بنته ولا عمه ولا عمته=

(تـ١) **ينظر**: مختصر الفتاوى المصرية ص٦٠٠.

(تـ٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح:٢٧٥٣)، ومسلم في صحيحه (ح:٢٠٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[إثبات أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا]

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا ([كذبا][م١] الاعتقاد)، هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه.

فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

= ولا قرابته إلا ذلك، فغيرهم أولى وأحرى وفي قصة عمه أبي طالب معتبر. فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس من الالتجاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، فضلا عن غيرهم، يتبين لك أنهم ليسوا على شيء، ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠]، أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم أندادا من دون الله يحبونهم كحب الله، إشراكا بالله وعبادة لغير الله، وعداوة لله ولرسوله، والصالحين من عباده كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[تـ١] [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

(م١) هذه اللفظة موجودة في نسخة مجموع مؤلفات الشيخ ص١٦٩، ونسخة العمروي ص٢٩.

(تـ١) ينظر: فتاوى ابن حميد ص٢٩٣.

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠- ٤١].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]، فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون سادتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين[م١].

(م١) قد يكون شرك زماننا أغلظ من شرك الأولين؛ لأن الأولين يخلصون لله في الشدائد، وإنما كانوا يشركون في الرخاء، أما مشركو زماننا فشركهم دائم في الرخاء والشدة، وقال تعالى -هذا في عين المشركين الأولين-: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. أما أهل زماننا فعندما يقع في أي مصيبة أو في أي كارثة، يندب معبوده: يا أحمد البدوي، يا عبد القادر، أغثني أغثني، واكشف الشدة عني، فصار شرك أهل زماننا أغلظ وأعظم من شرك الأولين، كما هو معلوم، والله أعلم.

ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا؟ والله المستعان.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله؛ إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح، أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به[م١].



(م١) لم يعثر على شرح الشيخ لهذه الشبهة.

[الشبهة الحادية عشرة]

[من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافرا ولو أتى بما ينافي التوحيد]

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها.

وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟[م١].

(م١) فإذا تحققت ما تقدم، وقول المشركين على الله، وأن المشركين الأولين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ولا أن محمدا رسول الله، بل يكذبون الرسول ولا يصومون ولا يصلون، وينكرون البعث، ويقولون ما هي إلا موتة ثم لا نعاد مرة أخرى، ويقولون: إن هذا القرآن شعر. أما نحن فنحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالرسول وبما جاء به، ونؤمن بالبعث، فكيف تجعلوننا مثل أولئك الذين هذه صفتهم؟

يعني أن عباد القبور يقولون: كيف تجعلوننا مثل أبي جهل وأُبي بن خلف وسائر مشركي العرب، فإنهم قاتلوا الرسول، بل كذبوه، وأنكروا البعث، ونحن صدقنا الرسول وآمنا به وآمنا بالبعث، وهم لا يصلون ولا يصومون، ونحن نصلي ونصوم ونحج، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ بل جعلتمونا أعظم شركا من المشركين الأولين مع وجود الفارق بيننا وبينهم، ما الجواب؟ الجواب يأتيك. =

[الجواب الأول]

[إجماع العلماء على كفر من آمن ببعض وكفر ببعض]

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام. وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج(م١).

= وهو أنه لا خلاف بين العلماء كلهم: أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء، فهو كافر باتفاق المسلمين، حتى لو كنت تصلي وتصوم وتؤمن بالقرآن وتصدق بالقرآن لكنك أنكرت البعث، فأنت في الحقيقة مكذب للقرآن، فهو كافر باتفاق المسلمين، لو زعم أنه يصلي ويصوم ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصدق القرآن، لكن يقول: إن لله ولدا، فهو مرتد باتفاق المسلمين، أو قال: إن هذا شريك لله يشفع له، يصرف له ما يصرف لله من العبادة؛ لمكانته وفضله، فهذا كافر باتفاق المسلمين، فالإسلام لابد أن يؤمن بكل ما جاء به الرسول، لا أنه يؤمن بالبعض ويكفر ببعض، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠- ١٥١]، كما يأتي في جواب المصنف وكلامه إن شاء الله، والله أعلم.

(م١) ويقال أيضا لهذا المشبه المبطل: قد عرفت أن من صدق الرسول ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر باتفاق العلماء، فكذلك من صدق الرسول وجحد الصلاة فهذا كافر، أو أقر بالصلاة ولكنه جحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الصوم، أو أقر بهذا=

ولما لم ينقد(م١) أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم:

= كله وجحد وجوب الحج، أو أقر بهذا كله وجحد البعث، فهذا لا يختلف المسلمون في كفره، وجميع المذاهب كلها متفقة على أن هذا كافر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠- ١٥١]، فإذًا، يكفر لو صدق الرسول في كل شيء إلا في البعث، أو صدق الرسول في كل شيء إلا في وجوب الزكاة، أو صدق الرسول في كل شيء إلا أنه أباح الزنا، أو صدق الرسول في كل شيء إلا أنه أباح الخمر، هذا مرتد بالاتفاق(تـ١).

(م١) من المعلوم أن الانقياد شرط من شروط كلمة التوحيد، فمن لم ينقد فهو كافر كما جاء في حديث صفوان الذي رواه النسائي والترمذي من طريق شعبة عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ، فَقَالَ صَاحِبُهُ: لَا تَقُلْ: نَبِيٌّ، إِنَّهُ لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ، فَأَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تَوَلَّوْا الْفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً الْيَهُودَ أَنْ لَا تَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ». قَالَ: فَقَبَّلُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ، قَالَ: =

(تـ١) هذا الشرح هذا مقتبس من فتاواه الخاصة، **ينظر**: مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ١١).

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

= فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي؟ قَالُوا: إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ لَا يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ تَبِعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودُ. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(تـ١). فهؤلاء لم يكونوا مسلمين بذلك؛ لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم، أي نعلم ونجزم أنك رسول الله، فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد، مع تضمن ذلك الإخبار عما في أنفسهم، فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين، فكانوا كفارا في الباطن، وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين، فكانوا كفارا في الظاهر والباطن، وكذلك أبو طالب قد استفاض عنه أنه يعلم بنبوة محمد، وأنشد عنه(تـ٢):

ولقد علمت بأن دين محمد ❋ من خير أديان البرية دينا

لكن امتنع من الإقرار بالتوحيد والنبوة؛ حبا لدين سلفه وكراهة أن يعيره قومه، فلما لم يقترن بعلمه الباطن الحب والانقياد الذي يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل وكراهة الحق؛ لم يكن مؤمنا، وهذا كما يقع أيضا في كثير من الأحيان من بعض المستشرقين الذين يكتبون البحوث والدراسات في صحة هذا الدين، أو بعض المشتغلين بالعلوم الكونية، عندما يرون إعجاز القران الكريم فينطق بعضهم بهذه الكلمة مع بقائه على دين قومه، فهؤلاء لا يوصفون بأنهم مسلمون؛ لأنهم لم ينقادوا لهذا الدين ويستسلموا له، فلم تنفعهم بحوثهم إلا زيادة في الحسرة وعذابا في الآخرة، نعوذ بالله من ذلك.

(تـ١) أخرجه الترمذي في جامعه (ح: ٢٧٣٣)، والنسائي سننه (ح: ٤٠٨٩)، وأحمد في مسنده (ح: ١٨٣٧٨)، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(تـ٢) **ينظر**: سيرة ابن إسحاق ص١٥٥.

ومن أقرّ بهذا كله وجحد البعث، كفر بالإجماع وحلّ دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١]، فإذا كان الله قد صرح في كتابه: أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة. وهذه التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا.



[الجواب الثاني]

[التوحيد أعظم فريضة فكيف يكفر من جحد الصلاة، ولا يكفر من جحد التوحيد]

ويقال أيضا: إن كنت تقرّ أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة، أنه كافر حلال الدم بالإجماع، وكذلك إذا أقرّ بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا(م١).

(م١) ويقال أيضا لهذا المشبه المبطل: فكيف تقول لمن جحد التوحيد الذي هو رأس دين الإسلام، وهو رأس دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، تقول: لا يكفر؟ بأن يعبد غير الله ويطلب المدد من غير الله ويذبح للقبور وينذر لها ويقول المدد المدد يا عبد القادر أو أغثني أغثني يا أحمد البدوي، ويقول هذا ليس بشرك، هذا هو دين الرسل كلهم يقولون معنى لا إله إلا الله والتي معناها: أنها تنفي وتبطل جميع ما يعبد من دون الله، وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له، فلا يجوز ذبح ولا نذر ولا استغاثة إلا بالله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾؛ أي ذبيحتي، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، جمع بين العبادة البدنية التي هي الصلاة، والعبادة المالية التي هي الذبح، لا تصلح إلا له، فكيف مع هذا إذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل، نقول: لا يكفر! ويكفر فيما إذا جحد وجوب فرع من الفروع، لو جحد تحريم الزنا، أو جحد وجوب الصلاة أو مما هو مجمع عليه يكفر، قال الشيخ [أي إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله] (سبحان الله ما أعجب هذا الجهل!)، ويأتيك لهذا تتمة كما سيأتي في قصة بني حنيفة ومسيلمة وكذلك قصة بني عبيد القداح، والذين حرقهم علي بن أبي طالب كما يأتي بيانه، والله أعلم.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور، كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول؟! وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر! سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل!



[الجواب الثالث]

[قتال الصحابة لبني حنيفة مع أدائهم لبعض واجبات الدين]

ويقال أيضا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون(م١).

(م١) ويقال أيضا ردا للمشبه المبطل الذي يقول: إن دعاء الأموات والغائبين، أو دعاء الحاضرين ليس بشرك، يقال لهم أيضا: هؤلاء أصحاب رسول ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون، ويصومون ويزكون، ويحجون، إلا أنهم يقولون: إن مسيلمة(ت١) نبي فقط، ومع هذا كفَّرهم الصحابة، وقاتلوهم، فلم تنفعهم شهادتهم أن لا إله إلا الله، ولا شهادتهم أن محمدا رسول الله، ولم تنفعهم صلاتهم، ولا زكاتهم، ولا صومهم، ولا حجهم، بل أبطلوا هذا كله بقولهم بأن مسيلمة شريك للرسول في الرسالة. =

(ت١) أخرج البخاري ومسلم واللفظ له، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ! فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدَةٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، قَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ»، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ».

فإذا كان هذا حالة من رفع رجلا في رتبة الرسول، فما ظنك فيمن رفع رجلا في رتبة جبار السموات والأرض! ألم يكن هذا أولى بالكفر وأولى بالقتال؟ وذلك مثل: يوسف وشمسان وأمثالهما في نجد، فإنه قبل دعوة الشيخ -المؤلف- كان هناك رجل يقال له: شمسان، وآخر يقال له: يوسف، يعتقد الناس فيهم الألوهية، وأنهم يعلمون الغيب، ويعتقدون أن لهم تأثيرا، ويأتونهم من كل مكان يسألونهم عن المغيبات، وهنا في الرياض في مشاغل يقال له: ابن جربوع، أيضا يزعمون أنه يعلم ما في بطن الحيوان من ذكر وأنثى، ومع هذا يقال ليسوا بكفار ولا مشركين، الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وهؤلاء يدعون علم الغيب في المستقبل، وهؤلاء يزعمون أنهم يكشفون الضرر ويجلبون النفع، وجعلوهم في رتبة جبار السموات والأرض، والصحابة كفَّروا من جعل مسيلمة في رتبة النبي، بل شريكا للنبي، ومع هذا كفروهم، فكيف لا يكفر من جعل رجلا في رتبة الله ﷻ وصرف له محض حق الله؟! سبحانه الله ما أعظم شأنه! ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١]، هذا من جملة الأجوبة التي أجاب بها المصنف عما يقوله المشركون في زمانه، وهو أنهم يقولون: كيف تجعلوننا مثل المشركين الأولين، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ونصوم ونصلي، ونزكي ونحج، ونؤمن بالقرآن، تجعلوننا مثل المشركين الأولين؟!

أجاب الشيخ بما تقدم: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء فهو كافر بإجماع المسلمين، والقرآن قد نطق بهذا، ثم انتقل من هذا الجواب إلى جواب آخر، قال: إن علماء كل مذهب ذكروا في كتبهم «باب حكم المرتد»، فما تنفعهم صلاتهم ولا زكاتهم ولا صومهم ولا حجهم، ولا شهادتهم أن لا إله إلا الله، ولا شهادتهم أن محمدا رسول الله، وهم يقولون مثلا: إن الزنا مباح أو إن الخمر مباح بكلام لو فعلوه معتقدين تحريمه لا يكفرون، بل هم عصاة مجرمون، لكن الذي يعتقد إباحته ولو لم يفعله فهو كافر مرتد باتفاق العلماء، ثم أخذ يستدل على صنيعهم بأن بني حنيفة يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون ويصومون ويحجون، ومع هذا قاتلهم الصحابة.

فإن قال: إنهم يقولون إن مسيلمة نبي؟

قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي ﷺ، كفّر وحلّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابيا، أو نبيا، إلى مرتبة جبار السموات والأرض!؟

سبحان الله ما أعظم شأنه! ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٩].



= إن قلت له: لما قاتلهم الصحابة واستحلوا دماءهم وأموالهم؟

فالخصم يقول لك: بأنهم قالوا: إن مسيلمة نبي.

قل له أنت: قاتلهم لأجل هذا!

قال: نعم، وهل يكفرون لأجل هذا؟ سيقول لك: نعم.

كيف يكفرون إذا رفعوا رجلا في رتبة النبي، ولا يكفرون إذا رفعوا رجلا في رتبة جبار السموات والأرض، بل هذا أولى بالكفر، سبحان الله ما أعظم شأنه! ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠١]، والله أعلم.

[الجواب الرابع]

[إجماع الصحابة على تكفير وقتل من اعتقد في علي الألوهية مع دعواهم الإسلام]

ويقال أيضا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟

أم تظنون أن الاعتقاد في "تاج" وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟[م١].

(م١) ويقال أيضا لهؤلاء المشبهين المبطلين: الذين حرقهم علي بن أبي طالب ما تقولون فيهم؟

قل لهم: هذا علي بن أبي طالب حرق من حرق من أصحابه فيما زعموا أنه إله، فهم ادّعوا في علي الألوهية، وخد الأخاديد، وأبرم النيران، فكل من زعم أن عليا إله قذفه فيها، فوافقه الصحابة إلا أن ابن عباس قال: قتلهم بالسيف أحب إليّ من إحراقهم بالنار[ت١]، وكان يقول علي رضي الله عنه[ت٢]:

إني لما رأيت الأمر أمرا منكرا ❁ أججت ناري ودعوت قنبرا

(ت١) أخرج البخاري وغيره من حديث أَيُّوبَ عَنْ عِكْرِمَةَ: أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه حَرَّقَ قَوْمًا، فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: «لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ»، وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ».

(ت٢) ينظر: الشريعة (٥/ ٢٥٥٤) للآجري.

= قنبرٌ مولى له، دعاه، وكل من ظهر له أنه يزعم أن عليا إله قذفه فيها، في حين أن هؤلاء تعلموا العلم من الصحابة، وجاهدوا مع الصحابة رضي الله عنهم، وتعلموا القرآن والسنة، إلا أنهم اعتقدوا في عليٍّ هذا الاعتقاد، مثل: اعتقاد زمن الشيخ في تاج وشمسان ويوسف وأمثالهم، ثم قال الشيخ: أتظن أن الاعتقاد في فلان وفلان لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر، يعني هذا الاعتقاد يكفر من اعتقده، والاعتقاد في شمسان أو في البدوي أو في عبد القادر لا يكفر، هذا من الضلال.

كل هذه أجوبة للشبهة السابق بيانها، حيث يقولون: كيف تكفروننا ونحن قوم نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ونصلي ونصوم ونزكي ونحج، ونؤمن بالقرآن، كيف جعلتمونا مثل المشركين الأولين؟

تجيبهم بهذه الأجوبة الكثيرة قائلا لهم: لا خلاف بين العلماء كلهم أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء أنه كافر إجماعا. وتقول لهم أيضا في جواب آخر: إن الرسول ﷺ دعا الناس إلى التوحيد، وقد ذكر أهل العلم: أن من ترك الصلاة يكفر، أو جحد وجوب الزكاة يكفر، أو جحد وجوب الصوم يكفر، ولو فعلها، فما ظنك بمن جحد رأس الدين الذي هو التوحيد، والذي جاءت به الرسل!

ثم الجواب الآخر تقول لهم: هؤلاء بنو حنيفة، يشهدون أن لا إله إلا الله، ويشهدون أن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون ويتصدقون، إلا أنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، ومع هذا كفروا، فما نفعتهم تلك الشهادة، مثلكم أنتم تقولون: نشهد أن لا إله إلا الله، لكنكم تعبدون القبور، تذبحون لها وتنذرون، أبطلت أعمالكم هذا كله.

وجواب آخر: تقول هذا عليٌّ حرّق هؤلاء الذين زعموا في عليٍّ الألوهية، وهم قوم تعلموا العلم من الصحابة وعاصروا الصحابة، يصلون ويزكون ويحجون ويؤمنون بالقرآن، ويجاهدون إلا أنهم ادّعوا في عليٍّ الألوهية، ومع هذا كفَّرهم، وأحرقهم بالنار بسبب مقالتهم، أتظن أن من دعا البدوي أو دعا عبد القادر أو السيدة زينب أو الحسين أو السيدة نفيسة وقال: المدد المدد، أغثني أغثني، لا يكفر! يعني من اعتقد بعليٍّ يكفر، ومن اعتقد بغيره لا يكفر، هذا هو الضلال، ثم تأتيك بقية الأجوبة عن هذه الشبهة مع أن ما قرره مصنف الكتاب واف شاف في رد شبهتهم، لكن هذا مزيد بسط منه رحمه الله، والله أعلم.

[الجواب الخامس]

[إجماع العلماء على كفر بني عبيد مع إظهارهم الإسلام؛ لفعلهم ما يناقضه]

ويقال أيضا: بنو عبيدٍ القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين(م١).

(م١) وإذا قالوا أيضا بنو عبيد القداح الذين ملكوا مصر، وهم يزعمون أنهم فاطميون، ولكن ليسوا بفاطميين، يزعمون أنهم من أهل البيت، وليسوا كذلك، بل هم مغاربة بعضهم يقول: إن أصلهم يهود(تـ١)، جاءوا إلى مصر واستولوا عليها، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وكذلك يصلون ويؤذنون، وينصبون القضاة والمفتين، إلا أنهم أظهروا أشياء مخالفين فيها الشريعة الإسلامية، فغزاهم المسلمون واستنقذوا ما بأيديهم، واعتبروا أن بلدهم بلاد حرب، وألّف العلماء المؤلفات، ومن جملة من ألف ابن الجوزي، ألف كتابا سماه «النصر على مصر» وذكر فيه أخبارهم. =

(تـ١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٢٨): قد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود)، وابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٥٢)، وقال الذهبي رحمه الله في السير (١٥/ ١٥١): (قال القاضي عياض: أجمع العلماء بالقيروان، أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة). وقال أيضًا: (وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد؛ لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه ...).

= لكن هؤلاء منهم من ذكر المصنف أنهم على هذه الكيفية، وآخرون منهم يدعون أنهم آلهة، كالمنصور المعتز، يزعم أنه إله، ويكتب على أبواب الجوامع سبًا لأبي بكر وعمر، وينكر البعث، وهؤلاء لا شك أنهم كفرة، وبنو عبيد القداح يتلونون بأحكامهم، تارة يأمرون الناس أن يسجدوا لهم، وتارة يأمرون بعض ممالكهم أن يفعلوا في الرجال اللواط الفاحشة، قبحهم الله، ولهم أخبار غريبة تدل على زندقتهم، وتدل على بُعدهم عن الإسلام، لكن المسلمين غزوهم واستنقذوا مصر من أيديهم، وأزالوا آثارهم نهائيا، فإذا كان هذا شأن بني عبيد القداح، فما ظنك فيمن صرف حق الله جل وعلا صرفه إلى غيره، بأن طلب المدد من غيره، وذبح لغيره ونذر لغيره، وطلب النفع ودفع الضرر من غيره، وقالوا: إنه يملك الدنيا والآخرة كما وقع للبوصيري في البردة، حيث زعم أن النبي ﷺ من جوده الدنيا وضرة الدنيا التي هي الآخرة، وأنه يعلم علم اللوح والقلم، وأنه إذا لم يكن آخذا بيده فإنه يزال، وأنه مآله إلى النار(تـ١).

وأبطل ما كان لله وجعله للنبي ﷺ ومع هذا يقول هذا القول وله من يؤيده ومن يأخذ بقوله، حيث أبطلوا الرب وصرفوا محض حقه لغيره، فهؤلاء أولى بالكفر والشرك بأن يطلق عليهم بأنهم مشركون أولى من شرك الأولين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ، وهذه كلها أدلة على ما قرره المصنف، كما تقدم بيانه، والله أعلم.

(تـ١) يقول البوصيري فيها:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ❁ سواك عند حدوث الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ❁ إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ❁ ومن علومك علم اللوح والقلم

ينظر: «كتاب محبة الرسول بين الاتباع والابتداع» ص١٩٤.

[الجواب السادس]

[لا يشترط في التكفير الجمع بين مكفرات عدة، وإلا ما معنى تخصيص العلماء باب حكم المرتد]

ويقال أيضا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك؛ فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب «باب حكم المرتد»؟ وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعا كثيرة، كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب(م١).

(م١) ويقال أيضا ردا للشبهة السابقة الذين يقولون: كيف تجعلوننا مثل المشركين الأولين ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، والمعنى: لو قال لك إنسان ممن يعبد القبر ويذبح له، قلت له يا أخي: هذا شرك. ولو قال لك يا أخي: أنتم تكفرون الناس على غير بصيرة، نحن نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدا رسول الله، ونؤذن، ونصلي، ونصوم، ونحج، ونقرأ القرآن، ونؤمن بالبعث، كيف تجعلوننا مثل أناس لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ولا أن محمدا رسول الله، ولا يصدقون القرآن، بل يقولون: إنه سحر، وينكرون البعث، تجعلوننا مثل أولئك؟!

نجيبهم بما تقدم، نقول لهم:

أولا: أنتم صرفتم محض حق الله لغيره، والله يقول في من آمن ببعض وكفر ببعض إنهم كفار، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠] ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١]، لا ينفعك أنك تؤمن بالبعض وتجحد البعض سواء بسواء، فإن =

= الذبح -مثلا- عبادة، والدعاء لا يصلح إلا لله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾، فجمع بين الصلاة والنسك، هذه عبادة بدنية -أي الصلاة-، وهذه عبادة مالية أيضا، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ثم أيضا تجاوبه: أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء أنه يكفر.

ثم تجاوبه أيضا: أن بني حنيفة يشهدون أن لا إله إلا الله ... إلى آخره، إلا أنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، ومع هذا كفَّرهم الصحابة.

ثم تجيبه تقول: إن قوما كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، وجعل بعضهم يقولون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك رسول الله، فأنكر عليهم عوف بن مالك فقال: لأخبرن رسول الله، فذهب ليخبر الرسول فوجد القرآن قد سبقه، فجاءوا معتذرين: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق، فأنزل الله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥]، وهم يقولون: إنما كنا نخوض، ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق، والرسول يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ثم إِذَنْ، ما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب (باب حكم المرتد)؟ وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو جحد وحدانيته، زعم أن لله ولدا، أو زعم أن لله زوجة، حتى لو كان يشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد أن محمدا رسول الله، ويصلي ويصوم ويتصدق ويزكي ويحج ويصل الأرحام ويؤمن بالبعث، ولكن يقول إن لله زوجة؛ فهو مرتد باتفاق المسلمين، وكذلك أيضا من سب الله أو سب رسوله أو سب الدين الإسلامي أيضا، فإنه مرتد باتفاق المسلمين، مهما فعل من عبادة، ومهما شهد من شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنه جاء بما يناقضها ويخالفها، أو جحد وجوب فرع مجمع عليه، أو حرّم حلالا مجمعا على إباحته، أو أباح أمرا محرما مجمع على تحريمه، فكله ردة،=

[الجواب السابع]

[تكفير الله تعالى لمن استهزأ بالرسول وأصحابه مع كونهم يؤدون العبادات]

ويقال أيضا:

الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعت أن الله كفَّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكون ويحجون ويوحدون؟(م١). وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦].

= بل ذكروا أشياء من الكلمات حتى ولو قالها على وجه المزاح واللعب فإنه يكفر بذلك، بل بالغ بعض الحنفية فيمن صغر مسجدا أو صغر اسم مصحف بأن قال: مُصيحف على وجه التحقير أنه يكفر، وإن كان يصلي ويصوم ويبكي ويحج ويقوم الليل ويصوم النهار، إذا ساقه على وجه الاحتقار والتصغير والامتهان على تفصيل مذكور في كتب الحنفية وغيرهم، والله أعلم.

(م١) ويقال أيضا للمشبه المبطل: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التوبة: ٧٤].

المعنى: أن هؤلاء يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويصلون ويصومون، ويزكون ويجاهدون مع النبي ﷺ، ومع هذا كفّروا بسبب كلمة قالوها، زعموا أنهم قالوها على وجه المزاح واللعب، وما كفروا، ومع هذا كفَّرهم بهذا.

فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزاح. فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم:

تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق(م١).

(م١) وذلك أيضا قولهم في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فذهب عوف بن مالك ليخبر الرسول بما قال هؤلاء، فوجد القرآن قد سبقه، نزل عليه، جاء هؤلاء المازحون على حد زعمهم يحلفون بالله أنهم ما قالوها إلا أنهم يقطعون بها عنهم الطريق، ويتحدثون حديث الركب، وقال عوف بن مالك: كأني أنظر إلى أحدهم وهو متعلق بحقب ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتنكب رجليه، وهو يقول لهم: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه(ت١).

أنزل الله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، بهذا تستدل على مشركي زماننا. إن مشركي زماننا يقولون لك: كيف أنتم تكفروننا وتخرجوننا من الإسلام، ونحن قوم نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله، ونصلي ونصوم ونزكي ونحج ونؤمن بالقرآن؟! كيف تجعلوننا مثل المشركين الأولين الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، بل قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، وينكرون رسالة النبي ﷺ، بيننا وبينهم فرق؟ =

(ت١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/ ١٧٣)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٦٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥٤). وقال الشيخ مقبل الوادعي في كتابه الصحيح المسند ص٧٨، وقد ذكر رواية ابن أبي حاتم (٤/ ٦٣) قال: «الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم (٤/ ٦٤) من حديث كعب بن مالك».

[الجوابان: الثامن والتاسع]

ومن الدليل على ذلك أيضا: ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقول أناس من الصحابة: «اجعل لنا ذات أنواط»، فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل: اجعل لنا إلها[م١].

= تجيبهم بهذه الأجوبة تقول لهم:
الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، بل ويزعم أنه إنما قالها على وجه المزح واللعب وما ينفعه جهاده ولا زكاته ولا صومه؛ لأنه جاء بما يناقض ذلك ويخالفه كقصة هؤلاء، وقصة بني عبيد القداح، وقصة بني حنيفة الذين قاتلهم الصحابة بزعمهم أن مسيلمة شريك لمحمد في الرسالة، وإلا فهم يشهدون أن لا إله إلا الله مثل هؤلاء، ومثل الذين حرقهم علي، ومثل أيضا من آمن بجميع ما جاء في القرآن والسنة إلا أنه جحد التوحيد بأن ذبح أو نذر أو طلب المدد من غير الله، أو استنجد بأصحاب القبور وما أشبهه، فإنه بفعله هذا أبطل شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنه جاء بما يناقضها ويخالفها، وهذا القرآن يقول: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]، وهذا الذي عفا الله عنه قالوا: إنه ابن حمير[تـ١]، مخشي بن حمير؛ لأنه سكت، ولكنه أنكر بقلبه، وقال: قعد بي واسم أبي: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]، والله أعلم.

(م١) ومن الدليل على ذلك ما حكى الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل مع علمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى عليه السلام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وكذلك أناس من=

(تـ١) ينظر تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٣١)، والإصابة (٦/ ٧١) لابن حجر.

= الصحابة قالوا: يا رسول الله، «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط»، فحلف رسول الله ﷺ أن قولهم مثل قول بني إسرائيل، بأن قال: قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨- ١٤٠]، هذا حديث هو حديث أبي واقد الليثي، رواه الترمذي وغيره ولفظه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(تـ١).

المعنى: أن الرسول كبر الله وعظمه حينما طلب هؤلاء الصحابة، وهم حديثو عهد بإسلام، بأن يجعل لهم هذه السدرة -شجرة من سدر-، ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم؛ رجاء خيرها وبركتها، فحلف ﷺ وهو الصادق ولو لم يحلف بأن طلبتهم تلك هي مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾، فشبه الطلبة بالطلبة، وهم لم يقولوا: اجعل لنا إلها أبدا، إنما قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، فالصحابة حديثو عهد بالإسلام، قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، لم يقولوا: اجعل لنا إلها كما لهم ذات أنواط، قال الرسول: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلها».

ماذا استفدنا من هذا؟ استفدنا من هذا: أن العبرة بالحقائق لا بالمسميات، فما دام أنهم يرجون بركة هذه الشجرة ويرجون خيرها، فقد اتخذوها إلها؛ لأن الرسول قال لهم: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾»، وهم لم يقولوا: اجعل لنا إلها، إنما قالوا: اجعل لنا ذات أنواط. =

(تـ١) أخرجه الترمذي في جامعه (ح: ٢١٨٠)، وأحمد في مسنده (ح: ٢٢٣١٥)، وابن حبان في صحيحه (ح: ٦٧٠٢). وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

= بهذا تعرف أن من استنجد بالقبور وذبح لها وطلب المدد منها وطلب بها قائلا: الغوث الغوث يا حسين، أو المدد المدد يا أحمد البدوي، أنه جعله إلهًا شاء أم أبى؛ لأن هذا لا يصلح إلا لله، فالرسول شبه طلبة هؤلاء حيث قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، لا أنهم قالوا: اجعل لنا إلها، شبه الطلبة بالطلبة وإن اختلف اللفظ، لكن الرسول اعتبر الحقائق بدون المسميات».

وفيه دليل على أن هذه الأمة لابد وأن يقع فيها شرك في كل حال؛ لأن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»(ت١). وقد قال البخاري في صحيحه: «باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان»(ت٢)، ثم ساق بسنده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي الخلصة»(ت٣)، فهذا يدل على أن الشرك لابد أن يقع في هذه الأمة بكل حال، مثل ما وقع في الأمم قبلها، بل قال الرسول ﷺ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»(ت٤)، مع قوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، مع قوله: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة»، بل هنا سؤال: قد يقول قائل: أنتم تقولون: إن هذه الأمة يقع فيها شرك، والرسول ﷺ كما في صحيح مسلم، جاء في الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»(ت٥)، وأنتم تقولون: إن الشرك يقع؟ =

(ت١) بوب به البخاري في صحيحه للحديث (ح: ٧٣١٩)، وسبق تخريجه من جامع الترمذي.

(ت٢) **ينظر**: فتح الباري (١٣/ ٧٦) كتاب الفتن، رقم الباب (٢٣).

(ت٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١١٦)، ومسلم في صحيحه (٢٩٠٦).

(ت٤) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٤٣٦)، ومسلم في صحيحه (ح: ٥٣١)، من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما.

(ت٥) أخرجه مسلم في صحيحه (ح:٢٨١٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

[الشبهة الثانية عشرة]

[أن بعض أصحاب موسى وأصحاب رسول الله لم يكفروا مع شناعة طلبهم]

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط(م١) لم يكفروا.

فالجواب: أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب(م٢).

= نقول لك: نعم، الشرك لابد أن يقع في هذه الأمة كما دلت عليه الأحاديث، والجواب عن هذا: إن الشيطان أيس، ليس فيه أن الله هو الذي أيسه، بل هو لما رأى الإسلام انتشر، ورأى أن الناس جعلوا يدخلون في دين الله أفواجا، وأسلمت قبائل العرب، أيس أن يعبد في جزيرة العرب، وليس في الحديث أن الله هو الذي أيسه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؛ لأن الله أتم النعمة، يعني يئسوا أن ترجعوا إلى دينهم وأن توافقوهم: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]، والله أعلم.

(م١) سبق تخريجه في (الجوابين: الثامن والتاسع).

(م٢) ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي: قول الصحابة للنبي ﷺ لأنهم=

[فوائد من حديث أبي واقد الليثي]

ولكن هذه القصة تفيد: أن المسلم -بل العالم- قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز.

= حديثو عهد بإسلام، قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال الرسول ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة»(ت١)، فشبه الطلبة بالطلبة وإن كان اختلف اللفظ، فبنوا إسرائيل قالوا: اجعل لنا إلها، والذين مع الرسول يوم حنين لم يقولوا: اجعل لنا إلها، بل قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

شبهة المشركين يقولون: أنتم تكفروننا والرسول لم يكفرهم، وبنو إسرائيل لم يكفروا الذين قالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذين قالوا للرسول: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط لم يكفرهم، فأنتم الآن تكفروننا، كيف تستدلون علينا بما لا دلالة لكم فيه؟

يقول المصنف نقول لهم: أنتم فعلتم، واتخذتم القبور من دون الله، وهؤلاء لم يفعلوا، بل قالوا: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، فنهاهم نبيهم موسى ولم يتخذوا إلها كما اتخذتم، ولو اتخذوا إلها من دون الله لكفروا، وكذلك الذين مع النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط عاصين له لكفروا، ولكنه لما نهاهم انتهوا، فأنتم نهاكم ولم تنتهوا، بل اتخذتم ما تعتقدون بركته، وتعتقدون أنه يشفع لكم عند الله، ويرفع حوائجكم إليه، زاعمين أنه واسطة بينكم وبين الله، ففرق بينكم وبين من سبقكم، فرسلهم نهوهم فانتهوا، وأنتم لم تنتهوا، فلو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط لكفروا، ولكنهم لم يتخذوا بعد نهي النبي ﷺ لهم، ففرق بين فعلكم وفعلهم وعملكم عملهم والله أعلم.

(ت١) سبق تخريجه في (الجوابين: الثامن والتاسع).

ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه، أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان.

وتفيد أيضا: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ(م١).

(م١) وهذه القصة تفيد أمورا -يعني قصة بني إسرائيل حين قالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، وقول بعض الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط- ماذا تفيد؟ يقول: تفيد المسلم بل العالم أن الجهل بالتوحيد وعدم معرفته من أعظم الأشياء، وأن قول الجاهل: التوحيد فهمناه، مما يدل على أنه لا يفهمه، إذا كان هذا قول الصحابة والنبي بين أظهرهم، وقول بني إسرائيل وموسى بين أظهرهم، وما فهموا هذا، فكيف تفهمون بدون تعلم؟ فالوقت يستدعي زمنا طويلا لمعرفة التوحيد، ومعرفة ما ينافيه، ومعرفة ما ينافي كماله من الشرك الأصغر، ومعرفة ما يقدح في التوحيد من البدع، ومعرفة ما ينقص ثواب التوحيد من المعاصي، ومعرفة ذرائع الشرك ووسائله الموصلة إلى الشرك أو المقربة منه المنافية للتوحيد أو لكمال التوحيد أو القادحة في التوحيد أو المنقصة لثواب التوحيد.

فقول الجاهل: التوحيد فهمناه، هذا من أكبر الجهل، وأعظم مكائد الشيطان، يظن أنه فهم وهو لم يفهم، فقد يتكلم بالكلمة لا يريد معناها، بل على وجه الجهل كما فعل الصحابة؛ إذ قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. ويدل على أن الإنسان إذا تاب من ساعته، يعني لو تكلم بكلمة كفر ثم تاب من ساعته، فإنه لا يضره، ما دام أنه قالها جهلا، فإذا قالها جهلا وتاب من ساعته فإنها لا تضره. =

[الشبهة الثالثة عشرة]

[من أتى بالتوحيد فإنه لا يكفر ولو فعل ما يناقضه]

وللمشركين شبهة أخرى يقولون:

إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال له: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟»(م١)، وكذلك قوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»(م٢)، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل(م٣).

= ثم تفيد على أنه لو قالها جهلا وتاب، ينبغي أن يغلظ عليه من أجل أن يكون وقعها في القلوب عظيما، فإذا أنكرت عليه إنكارا شديدا مغلظا عليه لهذه الكلمة التي تكلم بها يكون، أوقع في قلبه من أنه ارتكب جريمة، ولاسيما الكلمات التي تؤدي إلى الكفر، فهذه لابد من التغليظ في الإنكار فيها، وأنه إذا تاب من ساعته فإنها لا تضره إذا كان قالها أو فعلها عن جهل كما وقع لبني إسرائيل، فقد وقع كثير من مثل هذا لبعض العلماء، فإنهم يتساهلون بأشياء وهي عظيمة ويعظمون أشياء وهي أسهل كما وقع لبعض الحنفية، فإنهم يقولون: إن الإيمان هو مجرد التصديق، والأعمال ليست من الإيمان، بحيث إذا زالت زال الإيمان بالكلية.

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح:٤٢٦٩)، ومسلم في صحيحه (ح:٩٦) من حديث أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(م٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح:٢٥)، ومسلم في صحيحه (ح:٢٠)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(م٣) هؤلاء المشبهون لهم شبهة أخرى، وهي أن النبي ﷺ أنكر على أسامة بن زيد قتل من=

قال لا إله إلا الله، وذلك أن أسامة قتل رجلا من المشركين بعدما قال لا إله إلا الله، فعلم النبي ﷺ بذلك فأنكر على أسامة، فقال لأسامة: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟»، قال يا رسول الله، ما قالها إلا تعوذا لما رأى بريق السيف، قال: «أشققت عن قلبه! أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟»، قال يا رسول الله، لم يقلها إلا تعوذا، يعني خوفا من السيف، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟»، قال أسامة: والله إني تمنيت أني ما أسلمت إلا يومئذٍ.

هذه قصة أسامة، استدل بهذا على أن من قال لا إله إلا الله يجب الكف عنه يعني في وقتنا هذا، وكذلك استدلوا بحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» إلى غير ذلك من الأحاديث التي فيها الكف عمّن قال لا إله إلا الله، فالمعنى: أن مشركي زماننا يقولون: كيف تكفروننا ونحن نقول لا إله إلا الله، والرسول أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله، وعنف عليه حتى قال: «أشققت عن قلبه»، وقال له: «كيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة»؟ وأنتم تكفروننا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

تقول لهم: المشركون الأولون يعرفون معناها ولستم كمثلهم، فهم لما قيل لهم قولوا: لا إله إلا الله، امتنعوا قائلين: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص: ٥]، يعرفون أن معناها هو: إفراد الله بالعبادة، ونفي عبادة ما سواه يعرفون هذا، فلما قالها أنكر الرسول على أسامة: كيف قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟! بل ينظر هل يأتي بما يخالفها ويناقضها أم لا؟ هذا المعنى.

وحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» دل على أنه لو قالها إذا خالف حقها أو ناقض حقها، أو لم يأت بشيء من حقها فإنه يقاتل، فمشركوا زماننا بل اليهود والنصارى يقولون لا إله إلا الله ومع هذا لم تنفعهم؛ لأنهم يبطلونها، فهم يعبدون القبور، وبالنسبة لمشركي هذه الأمة يعبدون هذه القبور، يعبدون الصالحين، يسألونهم المدد من دون الله، يجعلونهم وسائط بينهم وبين الله، فهم لا يعملون بلا إله إلا الله، بل ينطقون بها لفظا ويخالفونها معنى وفعلا، فما نفعتهم.

[الجواب المجمل]

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلون ويدعون الإسلام(م١).

= أما قصة أسامة فهذا الرجل لم يقلها إلا لأنه يعرف معناها، وأنكر عليه الرسول قتله، بل ينظر هل يؤدي معناها؛ لأنهم يعرفونها ويعرفون ما دلت عليه بخلاف أهل زماننا، ثم هم يقولون لا إله إلا لله ويزعمون أن لله صاحبة، ويزعمون أن لله ولدا، ويسبون الدين الإسلامي وهم يقولون لا إله إلا الله، لا تنفعهم، من جنس الإنسان الذي توضأ ثم قام يصلي وأحدث، فهل تنفعه صلاته مع وجود الحدث؟! فكذلك لا تنفعه لا إله إلا الله مع وجود الحدث الذي ينافيها وهو الشرك بالله، أو أنه جاء بما يناقض لا إله إلا الله، والله أعلم.

(م١) فيقال لهؤلاء المشركين الضالين: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم واستباح دماءهم وأموالهم، وسبى ذراريهم وقتل مقاتليهم وهم يقولون لا إله إلا الله، ماذا تنفع لا إله إلا الله إذا جاء بما يناقضها ويخالفها؟! فها أنتم نعم تقولون لا إله إلا الله ولكنكم تذبحون للقبور، وتسألونها من دون الله وتجعلونها وسائط بينكم وبين الله، فقد نقضتم لا إله إلا الله.

فاليهود يقولونها، ومع هذا قاتلهم الرسول ﷺ وسبى نساءهم وذراريهم وأموالهم، وقتل مقاتليهم كما هو معروف؛ لأنهم لم يسلموا في الحقيقة، فالنطق بها مع تخلف معناها والعمل بمقتضاها لا ينفع، كذلك بنو حنيفة قاتلهم الصحابة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويؤذنون ويصلون ويصومون ويزكون ويحجون ويعملون=

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع؟ وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث(م١).



= بشرائع الإسلام، إلا أنهم قالوا: إن مسيلمة شريك لمحمد في الرسالة، فهل نفعتهم صلاتهم، وزكاتهم وشهادتهم أن لا إله إلا الله؟ لأنهم أبطلوها وجاؤوا بما يخالفها من زعمهم أن مسيلمة شريك للرسول في الرسالة.

فها أنتم نعم تقولون لا إله إلا الله وتصومون وتصلون وتحجون -نقول لهؤلاء المشركين: لكنكم صرفتم محض حق الله لغيره واتخذتموهم وسائط بينكم وبين الله، والله سبحانه وتعالى لم يرض أن يكون بينه وبينكم أي واسطة، تقولون إنهم شفعاء لنا، والله يقول: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ [سبأ: ٢٣]، فأبطلتم معنى لا إله إلا الله.

(م١) ثم يقال لهم أيضا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون ويزكون ويقرأون القرآن ويصومون، لكنهم يقولون إن عليا إله مثل ما تقولون إنهم وسائط، وجعلتموهم آلهة أخرى مع الله، وأحرقهم بالنار، أخدَّ الأخاديد في أفواه السكك وقذفهم فيها، فوافقه الصحابة إلا ابن عباس أنكر على علي قتلهم بالنار؛ لأن النار لا يعذب بها إلا رب النار: «فهلا قتلتهم بالسيف».

[بداية الجواب المفصل]

فأما حديث أسامة:

فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء:٩٤]، أي: فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى(م١)،

(م١) ثم تجيب أيضا عن حديث أسامة الذي استدل به مشركو زماننا؛ لأن مشركي زماننا يقولون: أنتم تكفروننا ونحن نقول لا إله إلا الله، وهذا أسامة أنكر عليه الرسول حينما قتل رجلا قال له: لا إله إلا الله، قال الرسول: «فهلا شققت عن قلبه!»، حينما قال: «إنما قالها تعوذا»، قال: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءتك يوم القيامة؟».
تجيبه تقول: أما حديث أسامة، فنعم أسامة قتل رجلا قال لا إله إلا الله، وأنكر عليه الرسول، لكن مشركي العرب يعرفون معنى لا إله إلا الله، فالرسول أنكر على أسامة قتله قبل أن يؤجل حتى ينظر، هل يأتي بما يناقض لا إله إلا الله؟ فنعم يقتل، وإن لم يأت بما يناقضها أصبح مسلما مؤمنا، أما أنتم فإنكم تأتون ما يناقضها وينافي معناها؛ لأن معناها -لا إله إلا الله- أي لا معبود في الأرض ولا في السماء بحق إلا الله، أنتم تقولون لا إله إلا الله وجعلتم معه معبودا غيره، ترجونه وتسألونه وتتخذونه واسطة بينكم وبين الله، هذا هو إله بعينه. ولما قتل أسامة ذلك الرجل الذي قال لا إله إلا الله، وأنكر عليه الرسول، أنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النساء: ٩٤]، فقوله: =

= ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾، أي تثبتوا. يأمر أسامة أن يتثبت، وأن لا يبادر بقتله حتى ينظر حالة هذا الرجل الذي قالها، هل قالها تعوذا من القتل وخوفا منه أم قالها حقيقة مؤمنا بها معتقدا معناها وما دلت عليه؟ فنعم، هذا هو معنى الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾، أي تثبتوا، فالله يأمر بأن نتثبت وأن لا نبادر في تكفيره حتى يأتي منه ما يناقض لا إله إلا الله، فتجد الآن كثيرا من الأمصار يبنون على القبور الأبنية يستنجدون بها، يسألونها تفريج الكربات وإغاثة اللهفات، المدد يا عبد القادر، أغثني يا أحمد البدوي، اكشف الشدة عني، نسي الله تعالى، نجد في الكتب المترجمة لأحمد البدوي أشياء غريبة ينسبونها إلى أحمد البدوي، قالوا من مناقبه وفضائله: أنه صعد سطح المسجد وبقي أربعين يوما وعيناه تتقدان كالجمرتين متجها بهما نحو السماء، يعني لم يصل، يقولون: ولم يفعل شيئا أربعين يوما! عيناه إلى السماء! حدث العاقل بما لا يليق، الرسول أفضل منه، وأفضل المخلوقين ما جرى له شيء من هذا. ثم أيضا يقولون من مناقبه: أن امرأة كانت في المغرب ولها طفل صغير في مهده، وقد وضعته في الأرض وهي قريبة منه، إذ جاء ثور فحمل الطفل وتعلق مهاده في قرن الثور، فركض الثور والمرأة تركض وراءه كي تخلص ولدها من قرن الثور، فلم تستطع لقوة الثور وشدة عدوه، وجعلت تقول: يا أحمد البدوي، أغثني، يا أحمد البدوي، وهو ميت من سنين في مصر، ومد يده إلى الثور وأخذ ولدها وأعطاها إياه، ويقولون: لا إله إلا الله تنفع! كل هذا من الخرافات والأشياء التي يستحي العاقل ذكرها فضلا عن كونهم يؤلفون فيها المؤلفات، ويكتبونها في الكتب، وهذا مما يدنس الورق، ويلوث الأقلام، ومثل ما يقولون في ترجمة عبد القادر الجيلاني، يدعونه ويسألونه ويستقبلونه حتى في دعائهم، يقولون: إنه لما كان في المهد لما وضعته أمه، كانوا يعرفون دخول شهر رمضان -وإن لم ير الهلال- منه، كيف عرفوه؟ قالوا: إذا دخل رمضان ما يرضع فهو يصوم، فإذا رفض الثدي عرفنا أن رمضان دخل!! هكذا ذكروا في ترجمته مثل هذه الخرافات والسخافات، علقوا به دينهم وتعلقوا بهؤلاء ونسوا رب العالمين=

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه: أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ هو الذي قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟»، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، هو الذي قال في الخوارج: «فأينما لقيتموهم فاقتلوهم»(م١)، «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا وتسبيحا، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام؛ لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وكان الرجل كاذبا عليهم،

= الذي بيده الضر والنفع، والذي بيده الإحياء والإماتة والخفض والرفع والصلة والقطع والمنع إلى غير ذلك، الله ﷻ يقول لمحمد ﷺ: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ [الجن: ٢١- ٣١]، ما عندي إلا البلاغ وتأدية الرسالة، ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الجن: ٢٣- ٢٤]، إلى آخر الآية، والله أعلم.

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح:٦٩٣٠)، ومسلم في صحيحه (ح:١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأما الحديث الذي قبله سبق تخريجه، والحديث الذي بعده فيأتي تخريجه على شرح ابن حميد رحمه الله.

فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه(م١).

(م١) وتستدل أيضا على مشركي زماننا، وأن مجرد لا إله إلا الله لا تنفعهم؛ لأنهم يأتون بما يناقضها ويخالفها، وتستدل عليهم بقصة أسامة السابق بيانها، وكذلك أيضا بقتال الصحابة لبني حنيفة، وقتال علي رضي الله عنه للذين أحرقهم بالنار، وقتال المسلمين لبني عبيد القداح، وهم ينصبون القضاة والمفتين ويصلون جمعة وجماعة، ويدعون الإسلام، إلا أنهم أظهروا أشياء خالفوا فيها الشريعة، فما نفعهم ما كانوا يؤدونه منها، وكذلك أيضا قصة الخوارج، فالنبي ﷺ أنكر على أسامة حين قتل من قال لا إله إلا الله، مع قوله: «يأتي بعدكم أناس تحقرون صلاتكم عند صلاتهم، وقراءتكم عند قراءتهم، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، فهو يعرف أنهم يقولون لا إله إلا الله، أظهروا مخالفة أشياء في الشريعة فما نفعتهم لا إله إلا الله؛ لأنهم كفَّروا الناس بالذنوب، ولأنهم استحلوا دماء المسلمين بشبهة عرضت لهم، ومع هذا قال الرسول ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»(ت١) وقال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»، وكذلك قصة بني المصطلق، فالنبي ﷺ بعث إليهم خالد بن الوليد لما أخبره رجل بأنهم منعوا الزكاة، جاءهم خالد ومعه قوم من المسلمين، فقالوا: صبأنا، يعني بمعنى أسلمنا؛ ولكنه قاتلهم وكان الرجل كاذبا عليهم، فأنزل الله: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦](ت٢). =

(ت١) سبق تخريجه.

(ت٢) ينظر: جامع البيان (١٣/ ١٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٠٤-٢٠٥)، والقصة ليس فيها قتال خالد لهم، وإنما همَّ بقتالهم ولم يقاتلهم؛ لتبين كذب المخبر عنهم وهو الوليد بن عقبة. ولعل الشيخ رحمه الله أراد سرية خالد رضي الله عنه إلى بني جذيمة فهم الذين قالوا صبأنا وحصل ما حصل من قتل خالد لبعضهم. ينظر: القصة في كتاب السرايا والبعوث النبوية ص٢٤٨، والله أعلم.

[الشبهة الرابعة عشرة]

[إذا جازت الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة فمن باب أولى أن تجوز في الدنيا]

ولهم شبهة أخرى: وهو ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى الرسول ﷺ، قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا.

فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة

= **وجه الدلالة من القصة:**

هو أنهم مسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لكن لما أخبر الرسول بأنهم منعوا الزكاة قاتلهم، فما عصمت دماءهم لا إله إلا الله.

وقول الرسول ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»، وفي رواية: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا قالوها -يعني لا إله إلا الله- عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»، يعني إن أبطلوا شيئا من حقوق لا إله إلا الله قاتلهم، إلا إذا أدوها بحقوقها فلا سبيل لنا عليهم.

ثم قال: «وحسابهم على الله»، يعني إذا أظهروا لنا الإسلام والتزموا شعائره، فحساب الخلق إلى الله، هو الذي يعلم ما تكنه الصدور والضمائر، وهو الذي يعلم مخبَّآت السرائر، فسرائر الخلق إلى الله، فليس لنا إلا الظاهر، هذا معنى قول الرسول: «وحسابهم على الله ﷻ»، والله أعلم.

بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله. إذا ثبت ذلك: فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة، يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك، تقول له: ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه(م١).

(م١) هذا جواب عما أورده المشبه المشرك الذي يستغيث بغير الله، ويطلب المدد من غير الله، إذا أنكرت عليه وقلت له: هذا شرك، لا تسأل إلا الله، لا تستغث إلا بالله، قال لك ما تقدم: ألم يثبت أن النبي ﷺ قال: «إن الناس يأتون آدم، فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته...» إلى آخره: «اشفع لنا عند ربك يرحنا من كرب هذا الموقف»(ت١)، وهذه استغاثة؟

تقول لهم أنت: نعم هذا صحيح، لكن هؤلاء المستغيثون يتشبثون بأناس حاضرين، لهم مكانة عند الله، يطلبون منهم أن يسألوا الله لهم، ونحن لا ننكر هذا، فأنت لو استغثت=

(ت١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح:٤٧١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وله شاهد في صحيح مسلم (ح: ١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

[الشبهة الخامسة عشرة]

[عرض جبريل على إبراهيم أن يغيثه
فلو كان ذلك شركا لما فعله]

ولهم شبهة أخرى: وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار، اعترض له جبريل في الهواء فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، قالوا: فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على إبراهيم.

= بمخلوق حاضر يستطيع أن يغيثك فلا بأس، كما لو أقبل عليك أسد يريد أن يفترسك، وبجانبك أو حولك إنسان معه بندقية، قلت: يا فلان، أغثني، فلا بأس، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، أو ظالم جاء يريد أخذ مالك، وعندك إنسان يستطيع أن يساعدك، فلا مانع أن تقول: أغثني. كذلك أيضا تطلب الدعاء منه لا بأس، أما طلبك الدعاء من الميت، فهذا لا، أو طلبك الشفاعة من الميت أو الغائب، لا. أما الحي الحاضر تقول: يا أخي، ادع الله لي، يا أخي، لا تنسنا من صالح دعائك، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون النبي ﷺ في حياته ويسألونه أن يدعو لهم، فيدعو لهم، وكذلك أيضا يسألونه أن يسأل الله أن يقضي حوائجهم، أما بعد وفاته فحاشا وكلا، لا يمكن أن تجد ولا حرفا واحدا أن أحدا من الصحابة جاء إلى قبر الرسول وقال: يا رسول الله، ادع الله، أو قال: يا رسول الله، اشفع لي، أبدا لا يمكن أن تجد هذا، وإنما تسأل الله في حياته، لا بأس، أما بعد وفاته فلا.

فبهذا تبطل شبهة هذا المشبه الذي يقول: إن الاستغاثة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو الاستغاثة بالأموات والغائبين، إنها جائزة، بل إن ما قلته هو الشرك بعينه؛ لأن من استغثت به لا يستطيع أن يغيثك ولا أن ينفعك ولا أن يدفع عنك ضررا، وإنما اطلب الغوث من الله سبحانه وتعالى، بهذا تبطل شبهته كما تقدم، والله أعلم.

فالجواب: إن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥]، فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل(م١).

(م١) ولهم شبهة أخرى -أي المشركين- يجوزن بها الاستغاثة بغير الله، يقولون في قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار، وذلك لما كسر أصنام قومه: ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٥٩- ٦٠] إلى آخر الآيات، جاؤوا به، ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [٦٢- ٦٣]، يعني الذي كسر الأصنام هو الصنم الكبير، فإنه لا يرضى أن تعبدوا معه غيره، ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، وفهموا أن الذي هم عليه أنه باطل، لكن انتصروا لآلهتهم فأوقدوا النيران لإلقاء إبراهيم فيها، لما أضرموا النيران جاؤوا بإبراهيم بمنجنيق، وألقوه في النار يريدون أن تأكله، اعترض له جبريل في الهواء، وقال: ألك حاجة؟ قال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى، وقع إبراهيم في النار، ولكن الله قال: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، قال العلماء: أتبع الله قوله ﴿بَرْدًا﴾ بسلام، لو لم يتبعها بسلام لمات إبراهيم من شدة بردها. فيقال لهم: نعم، جبريل عرض على إبراهيم، وجبريل حاضر قادر على أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب؛ لأنه شديد القوى، وقادر -جبريل- على أن ينقل إبراهيم ويرفعه عن النار ويلقيه في مكان بعيد، بل وقادر -جبريل- أن يرفع إبراهيم إلى السماء، فكيف تستدلون بهذا على أنكم تستغيثون بالأموات والغائبين، فجبريل حي حاضر يقدر على أن يغيث إبراهيم مع أن إبراهيم لم يطلب منه، بل هو الذي جاء يعرض عليه الحاجة، فلا دلالة فيها على طلب الاستغاثة بغير الله.

وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه، ويهبه شيئا يقضي به حاجته، فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون(م١)؟

[وجوب تطبيق التوحيد بالقلب واللسان والجوارح إلا لعذر شرعي]

ولنختم الكتاب بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها، فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب، واللسان، والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما.



(م١) مثل المصنف في قوله: (وهذا كرجل ذي مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه إما أن يقرضه وإما أن يهبه، وإما أن يعطيه فيأبى، بل صبر حتى يأتي الله برزق لا منة لأحد فيه)، فإبراهيم لم يقبل ما عرض به عليه جبريل، بل صبر حتى يأتي النصر من عند الله، لا منة فيه لا لجبريل ولا لغيره، فحينئذٍ لا دلالة في القصة لمن قال بجواز الاستغاثة بالأنبياء والأموات والغائبين والأولياء والصالحين بما لا يقدر عليه إلا الله، ونحن نقول تجوز الاستغاثة بالحي الحاضر القادر أن يغيث المستغيث فيما استغاثه به، كما تقدمت الإشارة إليه، والله أعلم.

[أقسام الناس في التوحيد]

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به؛ فهو كافر معاند، كفرعون وإبليس وأمثالهما(م١).

وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: هذا حق ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكنا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم أو غير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر، يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [التوبة: ٩]، وغير ذلك من الآيات، كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو شر من الكافر

(م١) قال رحمه الله تعالى: ولنختم الكتاب بمسالة مهمة عظيمة جدا تفهم مما تقدم، وهو أن الناس في مقام التوحيد أقسام:

إما أنه يعرف التوحيد، لكنه لا يعمل به، أو أنه يعمل به، ولكنه لا يعرفه، أو أنه يعرفه ويعمل به، لكنه لا يعتقده.

وعلى تقدير هذه الأحوال لم يكن الإنسان موحدا، بل لابد أن يعرف التوحيد ويعتقده ويعمل به، هذه الثلاث هي أركان التوحيد، بل لابد منها.

فلو عمل به وهو لا يعتقده هذا منافق أشر من الكافر الخالص.

أو أنه يعرفه في الباطن، لكنه يجحده ويكابر في إنكاره، هذا فيه شبه من فرعون؛ لأن فرعون يعرف الحق في باطن الأمر؛ ولكنه ينكره جحودا وعنادا، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

الخالص، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به؛ لخوف أو نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه(م١).

(م١) وقد يقول: إن ما تقولونه هو الحق، أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وأن دعاء الأموات والغائبين وطلب المدد منهم والاستغاثة بهم ينافي التوحيد، هذا قولكم حق، ولكن لا نستطيع أن نفعله؛ لأن أهل بلدنا نشؤوا على هذا واعتادوه ولا نستطيع مخالفتهم، هذا أشر مما قبله، يداري أهل بلده من أجل أنهم نشؤوا على عبادة القبور والاستغاثة بها وهو لا يعرف أنها باطل، وأن الحق هو في إفراد الله بالعبادة والتعلق، وترك عبادة ما سواه، لكن يقول: لا نستطيع مخالفة أهل البلد، فلابد من مجاراتهم، ليس له هذا عذر، بل هذا لا ينفعه، وليس هو معذور عند الله تعالى، فهو ظالم ومخطئ ومجرم في صنيعه هذا ولم يكن موحدا، فإن الله يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ من جنس هذا الذي يقول: أنا أعرف الحق ولكن أهل بلدنا لا يوافقونه، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، والآية الأخرى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠]، فمجرد معرفته للحق مع تخلف العمل لا ينفعه، أو يقول: لابد من مداراة الناس والنزول على رغباتهم؛ لأن مخالفتهم غير سائغة، فهذا مثل من قال الله فيه: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، فعلى كل التقادير المتقدم بيانها، لابد أن يعرف الإنسان التوحيد، ولابد أن يعتقده، ولابد أن يعمل به، ومن العمل به إنكار المنكر على من خالف التوحيد، وأعلن بطلان عقيدته، وأن هذا شريك من استغاث بغير الله، ومصارحتهم بالعداوة، فإن هذه هي ملة إبراهيم كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النحل: ١٢٣]، الملة هي الدين -دين إبراهيم- وما دين إبراهيم؟ جاء مبينا دين إبراهيم الذي أمر نبينا باتباعه في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ﴾ هذه هي ملة إبراهيم ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، =

[من يعذر بترك التوحيد ومن لا يعذر]

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

أولاهما: قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به؛ خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها(م١).

= لا أنك تجامل أهل البلد أو تجامل الرؤساء أو تجامل المشايخ مثلا، وهم على ضلال وخطأ، وأن تعرف أن الحق فيما عندك من شركية من استغاث بغير الله وذبح لغير الله، وطلب المدد من غير الله وسجد لغير الله، ودعا غير الله، لكن مخالطتك لهم وموافقتك لهم ألجأتك إلى أنك لا تنكر عليهم، إذن ضيعت ملة إبراهيم التي جاءت في هذه الآية: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، والله أعلم.

(م١) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزو الروم مع النبي ﷺ كفر من كفر منهم بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، هذا في غزوة الرسول ﷺ لتبوك، وتبوك للروم في ذاك الزمان، أنزل الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]، إذا كان هؤلاء كفروا بسبب كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح واللعب، فما ظنك بمن كفر بفعل أو قول؛ خوفًا من نقص مال أو مداراة للسلاطين والرؤساء، أو محبة للوطن، أو محبة للعشيرة، فهذا أولى بالكفر، وذلك أنه أقر الكفر=

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [النحل: ١٠٦ – ١٠٧]، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعل خوفا أو مداراة، أو مشحة بوطنه، أو أهله أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره، فالآية تدل على هذا من جهتين:

= مداراة لأهل البلد، كمن لم يُكفِّر من طلب المدد من غير الله؛ من باب المداراة، أو أنه لم ينكر عليهم وحسَّن فعلهم؛ خوفا على وطنه -يعني يخشى أن يبعد عن وطنه-؛ محبة للوطن أو محبة للمال، أو محبة للتجارة أو ما أشبه ذلك، وفي هذا وأمثاله قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ ﴾، أي انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]، فسماهم بهذه الآية فاسقين ما دام أنهم قدموا محبة الآباء، ومحبة المال، ومحبة الوطن، أو محبة التجارة، خشية كسادها، أو محبة البيت الذي يسكنه، ومساكن طيبة، قدموها على وجوب إنكار المنكر، وعلى الغضب لله ولرسوله فيما إذا انتهكت محارمه، بل أقرهم على الكفر مداراة ومداهنة، فهؤلاء كفروا، فما ظنك بمن فعل هذا الفعل، وقارنت بين هذا وبين الذين قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، مع أنهم اعتذروا، وقالوا: لا نريد حقيقة الأمر، وإنما نتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق، لا أقل ولا أكثر، ومع هذا لم يقبل الله عذرهم أبدا، بل قال: ﴿ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [التوبة: ٦٦]، مما يدل على أن لهم سابق إيمان، والله أعلم.

الأولى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأمام عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد(م١).

(م١) والآية تدل على هذا من جهتين، وهي قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦ - ١٠٧]، المعنى: هو أن المشرك في زماننا إذا قال لك مثلا: أنتم تكفروننا ونحن قوم نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله، ونؤذن ونصلي ونصوم ونتصدق ونؤمن بالقرآن ونؤمن بالبعث؛ كيف تكفروننا وتستحلون دماءنا وأموالنا، وتخرجوننا من دائرة الإسلام؟ تقول لهم أنت: هو بسبب ذبحكم للقبور، وطلبكم المدد المدد يا عبد القادر الجيلاني، فلهذا نكفركم بسبب هذا. فإن قال: هذا لا نكفر به ما دمنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونؤذن ونصلي ونصوم، هذا لا يكفر. تقول له أنت: الرسول كفَّر أناسا قالوا دون ما قلت، ومع هذا أنزل الله فيهم كفرهم، وهم حينما قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا -يعني أوسع أكلا- ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، ومع هذا اعتذروا قائلين: إنما كنا نقول على وجه المزح واللعب، ونقطع به عناء الطريق ونتحدث حديث الركب، جاؤوا معتذرين بهذا، الرسول يقول: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، أنزل الله فيهم ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]، وهم من الصحابة، من جملة من غزو الروم مع الرسول، وأثبت القرآن أن لهم إيمانا: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾، فكفروا بسبب هذه الكلمة.

ثم تقول لهم: العلماء في كل مذهب كلهم عقدوا بابا في كتبهم بالإجماع: أن من سب الله فهو كافر، ومن شتم هذا الدين فهو مرتد، ومن زعم أن لله صاحبة فهو مرتد، ومن انتقص الرسول فهو مرتد، ولو شهد أن لا إله إلا الله وجاء بكل ما جاء، هذا تقدم. =

والثاني: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، فصرح أن الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين، والله ﷻ أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(م١).

= أيضا تقول له: الله ﷻ لم يعذر إلا المكره، فأنت لست بمكره قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٠٦]، أما من كفر وهو غير مكره بأن تكلم بكلمة الكفر أو عمل بعمل يقتضي الكفر، فهذا نعم، نقول إنه مرتد كافر، ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، كما لو هددت بقتل أو إحراق ووافقتهم مكرها فأنت معذور، وإنما وافقتهم في الظاهر وإلا قلبك مطمئن بالإيمان؛ لأن العقيدة لا يمكن أن أحدا يكره عليها، وإنما تكره أنت على القول أو الفعل فقط، أما العقيدة فلا يتصور إكراه أحد عليها.

(م١) ثم تأمل قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، يعني جاءوا بكلمات الكفر بسبب محبتهم للدنيا على الآخرة، فمن آثر بلدا أو آثر عشيرة أو مالا وقال بالكفر؛ لأجل المداراة أو مشحة بوطنه أو مشحة بماله أو بعشيرته، فهذا لا ينفعه، بل هو مرتد مهما كانت الحالة؛ لأن الله يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النحل: ١٠٧]؛ يعني كفروا بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، ولم يكونوا مكرهين مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان، فآثاروا حظا من حظوظ الدنيا، إما مشحة بالوطن أو بالأهل أو بالعشيرة أو بالمال، وعطفوا عليهم على كفرهم أو تكلموا بكلمات الكفر أو غير ذلك، مما هو سبب في إخراجهم عن دينهم، فهم بهذا كفروا ولم يعذروا إلا من أكره بالضرب أو الإحراق أو القتل فيما من شأنه القول أو الفعل دون عقيدة القلب، هذا هو معنى قول الشيخ، والله أعلم.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣

[تعريف التوحيد].. ٤

[التوحيد هو دين الرسل].. ٥

[زمن حدوث الشرك وسببه] ٦

[بيان بعض ما كان عليه أهل الجاهلية]................................ ٧

[الحكمة من بعث النبي ﷺ وبيان أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بالربوبية] ٩

[الأدلة على إقرار الكفار بالربوبية].................................. ١٠

[إقرارهم بالربوبية لم يدخلهم في الإسلام] ١٣

[بيان التوحيد الذي جحده المشركون الأولون وتنوع معبوداتهم]........... ١٤

[سبب قتال الرسول للمشركين]...................................... ١٥

[التأكيد على القاعدتين الأساسيتين] ١٧

[مفهوم الإله عند المشركين] ١٨

[مفاهيم خاطئة في فهم كلمة التوحيد] ٢٣

[معرفة المؤمن لحقيقة الإيمان والشرك، وحال المشركين توجب له الفرح بالتوحيد والحذر من سلبه] ٢٤

[بيان حكمة الله تعالى من جعله أعداء للأنبياء] ٢٧

[أن لأعداء التوحيد حججا وبراهين]................. ٢٨
[وجوب التسلح بالكتاب والسنة لدحض شبهات الأعداء].......... ٢٩
[بيان أن في القرآن الحجج لرد شبهات المشركين]............. ٣٠
[بيان موضوع الكتاب والغاية من تأليفه]..................... ٣٢
[الرد على أهل الباطل إجمالا وتفصيلا]...................... ٣٣
[وأما الجواب المفصل]:................................. ٣٦
[الشبهة الأولى]: [الأولياء والصالحون لهم جاه عند الله، ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم]................................ ٣٧
[الشبهة الثانية وجوابها]: [الكفار كانوا يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين وفرق بينهما]................................ ٤٠
[الشبهة الثالثة]: [الكفار يريدون المنفعة ودفع المضرة ونحن نريد الشفاعة فقط] ٤٤
[منزلة الشبه الثلاث عند المشركين]........................ ٤٥
[الشبهة الرابعة]: [الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة].......... ٤٦
[الجواب الأول]....................................... ٤٧
[الجواب الثاني]....................................... ٤٨
[الشبهة الخامسة]: [من ينكر طلب الشفاعة من الرسول ﷺ والصالحين فهو منكر لشفاعة الرسول وغيره]........................... ٥٠
[شروط الشفاعة المثبتة]................................ ٥٠

[الطريقة الشرعية لطلب شفاعة النبي ﷺ] ٥١
[الشبهة السادسة]: [النبي أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله] ٥٢
[الجواب الأول] ٥٢
[الجواب الثاني] ٥٣
[الشبهة السابعة]: [الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك] ٥٤
[الشبهة الثامنة]: [خصوصية الشرك بعبادة الأصنام] ٥٦
[الجواب الأول] ٥٦
[الجواب الثاني] ٥٦
[الجواب الثالث] ٥٦
[حاصل الأجوبة عن الشبهة الثامنة] ٥٩
[الشبهة التاسعة]: [الكفر خاص بمن نسب الولد إلى الله] ٦٣
[الجواب الأول] ٦٣
[الجواب الثاني] ٦٤
[الجواب الثالث] ٦٤
[الجواب الرابع] ٦٥
[الشبهة العاشرة]: [أولياء الله لهم جاه عند الله ونحن نسأل الله بجاههم] ٦٦
[كرامات الأولياء عند أهل السنة وغيرهم] ٦٧

[إثبات أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا] ٦٨

[الشبهة الحادية عشرة]: [من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافرا ولو أتى بما ينافي التوحيد] ٧١

[الجواب الأول]: [إجماع العلماء على كفر من آمن ببعض وكفر ببعض].......... ٧٢

[الجواب الثاني]: [التوحيد أعظم فريضة فكيف يكفر من جحد الصلاة.. ولا يكفر من جحد التوحيد] ٧٦

[الجواب الثالث]: [قتال الصحابة لبني حنيفة مع أدائهم لبعض واجبات الدين] ...٧٨

[الجواب الرابع]: [إجماع الصحابة على تكفير وقتل من اعتقد في علي الألوهية مع دعواهم الإسلام].......................... ٨١

[الجواب الخامس]: [إجماع العلماء على كفر بني عبيد مع إظهارهم الإسلام؛ لفعلهم ما يناقضه] ٨٣

[الجواب السادس]: [لا يشترط في التكفير الجمع بين مكفرات عدة، وإلا ما معنى تخصيص العلماء باب حكم المرتد].......................... ٨٥

[الجواب السابع]: [تكفير الله تعالى لمن استهزأ بالرسول وأصحابه مع كونهم يؤدون العبادات].......................... ٨٧

[الجوابان: الثامن والتاسع] ٨٩

[الشبهة الثانية عشرة]: [أن بعض أصحاب موسى وأصحاب رسول الله لم يكفروا مع شناعة طلبهم].......................... ٩٢

[فوائد من حديث أبي واقد الليثي].. ٩٣
[الشبهة الثالثة عشرة]: [من أتى بالتوحيد فإنه لا يكفر ولو فعل ما يناقضه]......... ٩٥
[الجواب المجمل] ٩٧
[بداية الجواب المفصل] ٩٨
[الشبهة الرابعة عشرة]: [إذا جازت الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة فمن باب أولى أن تجوز في الدنيا] ١٠٣
[الشبهة الخامسة عشرة]: [عرض جبريل على إبراهيم أن يغيثه فلو كان ذلك شركا لما فعله].. ١٠٥
[وجوب تطبيق التوحيد بالقلب واللسان والجوارح إلا لعذر شرعي]......... ١٠٧
[أقسام الناس في التوحيد] ١٠٨
[من يعذر بترك التوحيد ومن لا يعذر] ١١٠
الفهرس ١١٥

